مجلة تدبر

البحث الرابع :

سُورَةُ النَّصرِ علمٌ وعَملٌ

دِراسَةٌ تَدَبُّرِيَّةٌ تَطبِيقِيَّةٌ لِسُورَةِ النَّصرِ

بِاستِخدامِ مَنهَجِيَّةِ مَشرُوعِ (القُرآنُ علمٌ وعَملٌ)

والَّذِي يَرتَكِزُ عَلَى المَنهَجِ النَّبَوِيِّ فِي التَّعامُلِ مَعَ القُرآنِ

د . شَرِيفُ بْنُ طَهَ يُونُسْ

رئيس مجلس إدارة معهد العلم والعمل وأكاديمية المتدبر الصغير

- حصل على ماجستير طب الأطفال - جامعة بني سويف – مصر، وباحث دكتوراه بالمعهد العالي لدراسات الطفولة – جامعة عين شمس – مصر.
- فاز بالجائزة الأولى لقسم المناهج في المسابقة العالمية للهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، عن منهج «المتدبر الصغير - الإيمان قبل القرآن».
- له العديد من الأبحاث، منها: «دور التدبر في تيسير وتحسين تعلم القرآن والعمل به لدى الأطفال»، وشارك به في المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، بالرياض. و«دور عسل النحل في علاج الإسهال عند الأطفال الرضع» (بالعربية والإنجليزية)، وشارك به في المؤتمر العالمي الحادي عشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمدريد بأسبانيا.
- له العديد من المؤلفات، منها: رحلة البحث عن أهل القرآن، رحلة اكتشاف ما يقدمه لنا القرآن، الميلاد الجديد، بالوحي نحيا، كيف نسعد بسورة الفلق، مدارس العلم والعمل، الهروب من الفهم، سباق المحبين، أسعد أيامي، النشرة التعريفية بمنهج المتدبر الصغير، والنشرة التعريفية بمشروع القرآن علم وعمل، المنهج النبوي في تعليم الأطفال القرآن.
- بالإضافة إلى أكثر من عشرة مؤلفات موجهة للأطفال، وأكثر من عشرين مُؤَلَّفًا تحت الطبع.

ملخص البحث

موضوع البحث:

(سورة النصر) علم وعمل، دراسة تدبرية تطبيقية لسورة النصر، باستخدام منهجية مشروع (القرآن علم وعمل)، والذي يرتكز على المنهج النبوي في التعامل مع القرآن.

أهدافه:

تفعيل ما تم تأصيله في مشروع (القرآن علم وعمل) فيما يتعلق بالمنهجية النبوية في التعامل مع القرآن الكريم (علما وعملا)؛ لتقريب مسألة فهم القرآن وتدبره والعمل به والقيام بحقوقه والانتفاع الكامل به، ومساعدة المسلمين على الانتفاع الكامل بسورة النصر على الخصوص (علما وعملا) كمثال يحتذونه في هذا الطريق.

منهجه:

لم أعتمد منهجا واحدا في هذه الدراسة؛ لأن طبيعتها استلزمت في بعض المباحث أن أعتمد المنهج الاستقرائي بصورة أكبر، وفي أخرى أن أعتمد المنهج التحليلي، رغم أنه قد يندر أن يكون مبحث من مباحث الدراسة أو فصولها قد اقتصر على منهج واحد، لكن بصورة إجمالية كان للمنهج الاستقرائي أكبر نصيب، تلاه المنهج التحليلي.

وكانت عنايتي بالمسائل التي تخدم الفهم والتدبر والتطبيق بصورة مباشرة، حتى المباحث المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن التي تناولناها، تناولناها من زاوية مقاصدية، مع التأكيد على انعكاساتها العملية والتطبيقية.

واستخدمت الخرائط والتصميمات والأشكال التوضيحية؛ لتلخيص وإبراز العديد من النقاط.

❁ خطته:

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد تجهيزي، وثلاثة مباحث، وختام تعزيزي.

ثم جاءت الخلاصة مع أهم النتائج والتوصيات.

وحاولنا في هذه الدراسة تناول مجموعة مهمة من المتطلبات، وإجابة مجموعة من التساؤلات المتعلقة بالتدارس الكامل الشامل لسورة النصر، علما وعملا، تأصيلا وتفعيلا، وقد تم تلخيص تلك الأمور في: (النية)، و(المنهجية)، و(الأهمية)، و(الآلية)، و(النماذج الواقعية)، و(الاستمرارية).

❁ أهم النتائج:

أثبتت هذه الدراسة قابلية (منهج العلم والعمل) للتطبيق على سور القرآن الكريم، وأن سُنَّة النبي ﷺ حافلة بالآفاق التدبرية والتطبيقية المتعلقة بالآيات والسور القرآنية، وأن التعامل النبوي مع القرآن قد كان أعمق وأكمل من مجرد القيام بحقوق المباني من القراءة والتجويد وحفظ الرواية. وأن السور قصيرة المباني كسورة النصر، قد ضَمَّنها الله أعظم المعاني التي يحتاجها الإنسان لإصلاح دنياه وأخراه.

❁ أهم التوصيات:

١) **ضرورة اعتماد المنهج النبوي المتكامل في التعليم القرآني** (الإيمان والقرآن، والعلم والعمل) في مؤسسات التعليم القرآني، وتعميمه، وتدريب العاملين في مؤسسات التعليم القرآني على أصوله وقواعده، ودعوة جماهير المسلمين للعودة له.

٢) **بذل قدر أكبر من العناية للسور والآيات التي يستخدمها المسلمون كثيرا،** ويكثر ترددهم لها في حياتهم اليوم؛ لأنها سهلة التناول، وتشتمل على كنوز يحتاج الناس لتقريبها لهم.

٣) **ضرورة تبصير المسلمين (تأصيلا وتفعيلا)** بضرورة مطالعة السُّنَّة النبوية لمطالعة الآفاق التدبرية والتطبيقية للسور والآيات القرآنية؛ والتأكيد على أن تدارس السورة لا ينبغي أن يقتصر على ما جاء في كتب التفسير؛ لأن ذلك يؤدي غرضَ (التدارس العلمي)، لكن يبقى التدارس العملي (تدبرا واتباعا) هو الأهم.

الكلمات الدالة:

نصر، تدبر، علم، عمل، منهج، سُنَّة.

المقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه ومَن اتَّبع هداهم إلى يوم الدين، ثمَّ أمَّا بعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن ليُعْمَل به، وأخبر أن أهم مقاصد إنزاله (العمل به)، فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وأمر بالعناية بمعانيه تفهمًا وتدبرًا واتباعًا، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، وذَمَّ الذين لا يعتنون بمعانيه، والذين تكون علاقتهم بالمعاني منحصرة في تعلمها دون العمل بها، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

ورسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر أن أهل القرآن هم الذين يعملون به، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ، الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا**»(١). وَوَصَّانا بالعناية بمعاني القرآن، ولطالما أَكَّد على أن العناية بالمعاني ينبغي أن تكون (علما وعملا)؛ فقال لحذيفة: «تعلَّم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ واعمل به؛ فهو النجاة»(٢).

وقد كانت سُنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العملية متطابقة مع سُنَّته القولية على مستواه الشخصي، حين كانت علاقته بالقرآن علاقة (تَخَلُّق)، وحين اعتنى بتفهم القرآن وتدبره واتباعه.

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٣ - «٨٠٥»)، ومسند أحمد (١٧٦٧٤)، وسنن الترمذي (٢٨٨٣).

(٢) رواه أحمد (٣٨/ ٣١٧) وحسنه الأرنؤوط، ورواه أبو داود (٤/ ٩٦)، والنسائي (٧/ ٢٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٢٤٢) بلفظ: «تعلم كتاب الله واتبع ما فيه».

أما على مستوى تعليمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لغيره، فقد وصفه القرآن بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتلو الآيات، ويُعلِّم الكتاب (المعاني)، والحكمة (أكمل صور العمل)، ويتعاهد المتعلمين في تزكية (تطهير وتطوير) أنفسهم بما تعلَّموه من العلم والعمل.

وَوَصَفَه أصحابه بأنه كان يعتني بتعليمهم المعاني والمباني معا، وكان يُقَدِّم تعليم المعاني على المباني، وكان تعليمه للمعاني علما وعملا، ليس مجرد تفسير لها فحسب[1].

❁ أهمية الدراسة:

ورغم أن ما سلف الحديث عنه أمور قد تظاهرت النصوص عليها، ولولا خشية الإطالة لفَصَّلنا فيها، إلا أن واقع كثير من المسلمين اليوم للأسف يشهد بقصور واضح في تطبيق المنهج النبوي في التعامل مع القرآن الكريم، فالبعض اكتفى بالمباني، والبعض تخطاها إلى المعاني لكن علما فقط، وغيرها من صور القصور عما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل مع القرآن.

إن التفسير ومجهودات المفسرين تهدف بالأساس إلى (بيان المعاني)، وهذا هو الأساس الذي ينبغي الارتكاز عليه والانطلاق منه في كل ما يلي فهم القرآن من حقوق: كالتدبر، والاتباع، وغيرها.

لكن التفسير في المنهج النبوي في التعامل مع القرآن (العلم والعمل) لا يُمَثِّل إلا شق (العلم)، ويبقى الشق العملي التطبيقي بحاجة إلى تناول، وهنا يأتي دور سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو البيان العملي، فنجد في سُنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف كان تَخَلُّقه بالآية أو السورة؟ وكيف تدبرها؟ وكيف اعتنى بها عمليا؟ وما لا نجده

(١) راجع في كل ما يتعلق بحال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع القرآن متعلما ومُعَلِّما كتابنا: رحلة البحث عن أهل القرآن (النسخة المنظورة).

مخصوصا، نجد قواعد عامة في المنهج التطبيقي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهدينا سواء الصراط.

وتلك الأمور التطبيقية لا نجدها كاملة في كتب التفسير، بل في كتب (السنن)؛ لأنها لم تكن من شرط المفسرين عن تصنيفهم في التفسير، ولذا فإن المطلوب في التعامل مع الآية لن يتم الوصول إليه من كتب التفسير فقط، بل لا بد من مطالعة كتب (السُّنن)؛ لنتعرف من خلالها على آفاق التطبيق والتدبر الأثرية المنضبطة، فإننا نجزم أن مطالعة سُنَّته وسيرته تعتبر كأنها قراءة للقرآن، لكن من زاوية تطبيقية، كما نجزم أنه لا تكاد توجد آية أو سورة إلا وفي سُنَّته وسيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آفاق تطبيقية خاصة، أو قواعد عامة متعلقة بها.

ولو حصل ذلك اكتمل تشبُّع الإنسان بمصدرَي الهداية اللَّذَيْن وعد القرآن المُستهدي بهما – اتباعا لا اطلاعا – بالعصمة من الضلال والشقاء، والأمان من المخاوف والأحزان، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقد قرر كثيرٌ من المفسرين أن (الهدى) المقصود هنا يتكون من شقين؛ **الأول:** الرسالة التي أرسلها الله لخلقه (أي: الكتاب السماوي كالقرآن «ونعبر عنه بالنسخة المسطورة من الهدى»)، **والثاني:** الرسول البشري الذي أرسله الله بالرسالة (أي: السُنَّة التي أُثِرَت عن ذلك الرسول «ونعبر عنه بالنسخة المنظورة من الهدى»).

ولعل بعض الفضلاء يرى أنه لا حاجة لنا بذلك، نُفَسِّر الآيات فقط والدارس يتابع بنفسه مسألة العمل والتطبيق، فأحب أن أُذَكِّر مَن يرى ذلك من فُضلائنا أن القرآن لما تحدث عن دور المعلم، القرآن أخبر أنه يُعَلِّم (الحكمة)، وأخبر أنه يُزَكِّي المتعلمين، وهذا أمر أكمل من التربية، وأبعد من مجرد العمل. أضِف

إلى ذلك أن الصحابة قد أخبروا أن من أركان المنهج النبوي في التعليم (تعليم العمل).

وإن يكن سلفنا لا يحتاجون لذلك، فواقعنا اليوم يشهد بحاجتنا الماسَّة لتعلم العمل، فما أكثر المنشغلين بالمباني؟ وما أكثر المنشغلين بالعلم؟ لكن هناك أزمة حقيقية في التخلق والعمل والسلوك، لا تخفى على أحد. فكيف وقد وصلَنا أن سلفنا اعتنوا بتعلم العمل؟!

وهذه الدراسة محاولة لتفعيل ما قمنا بتأصيله سابقا في مشروعنا القرآن علم وعمل[1]، فيما يتعلق بالمنهجية النبوية في التعامل مع القرآن الكريم (علما وعملا).

وقد وقع اختيارنا فيها على سورة (النصر)، واجتهدنا في التأصيل العلمي لما يتعلق بمباحثها من ناحية التفسير وعلوم القرآن، لكن ما رَكَّزت عليه هذه الدراسة هو تناول تلك المباحث في إطار مقاصدي عملي، مع التأكيد على انعكاساتها

---

(١) والمشروع عبارة عن برنامج عملي مرتب بصورة ميسرة، شعاره (بالوحي نحيا)، ويهدف إلى إحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن الكريم (العلم والعمل، والإيمان والقرآن)، تعلما وتدبرا وعملا وتعليما، ويسعى لتقريبه لجميع المسلمين (صغارا وكبارا) على كل المستويات.

وفي مشروعنا نضع (العمل) نصب أعيننا؛ وندعو لترتيب الأولويات واستثمار الطاقات في الأهم فالـمُهمِّ في التعامل مع القرآن في ضوء مراد الله منَّا فيما يتعلق به.

ومشروعنا يعمل في محورين: الأول منهما: مفاهيمي (تأصيلي)، لاستقراء المصطلحات التي تتناول طبيعة العلاقة بالقرآن وتحليلها وتسديدها وتيسير التحقق بها. من خلال رحلة قمنا بها على صفحات النسخة المسطورة من الهدى «الوحي» (نصوص القرآن والسنة «الأقوال»). أما الثاني: فمهاري (تطبيقي) لاستقراء منهج (النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) في التعامل مع القرآن الكريم، وطبيعة علاقتهم به. وتحليل هذا المنهج وتقريب مهاراته للناس وتدريبهم عليها، من خلال رحلة قمنا بها على صفحات النسخة المنظورة من الهدى «الوحي» (سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «الأحوال»).

وقد بدأ المشروع منذ ما يربو على عشر سنوات، تم فيها - بفضل الله - تدريب ما يربو على عشرة آلاف متدرب ومتدربة على المشروع بمستويات متباينة من التدريب.

العملية والتطبيقية، والعناية الأكبر بالمسائل التي تخدم الفهم والتدبر والتطبيق بصورة مباشرة. كما تم عقد مباحث تطبيقية تفصيلية لما يتعلق بتدبر السورة واتباعها والقيام بحقوقها كاملة.

❁ منهج الدراسة:

لم أعتمد منهجا واحدا في هذه الدراسة؛ لأن طبيعتها استلزمت في بعض المباحث أن أعتمد المنهج الاستقرائي بصورة أكبر، وفي أخرى أن أعتمد المنهج التحليلي، رغم أنه قد يندر أن يكون مبحث من مباحث الدراسة أو فصولها قد اقتصر على منهج واحد، لكن بصورة إجمالية كان للمنهج الاستقرائي أكبر نصيب، تلاه المنهج التحليلي.

- **حرصت على** أن أثبت أرقام الآيات بجوارها في النص.
- **حرصت على** ألا أستشهد إلا بحديث صحيح أو حسن، وأعرضت عن الضعيف وما دونه، مسترشدا في التصحيح والتضعيف بأحكام العلماء المعتبرين في هذا الفن: كشاكر، والألباني، والأرنؤوط، وغيرهم. ولم أتوسع في التخريج لكيلا تخرج الدراسة عن مقصودها التطبيقي.
- **تجنبت الخوض** في تفاصيل المسائل اللغوية، ومسائل النحو والإعراب وغيرها، وكانت عنايتي بالمسائل التي تخدم الفهم والتدبر والتطبيق بصورة مباشرة، حتى المباحث المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن التي تناولناها، تناولناها من زاوية مقاصدية مع التأكيد على انعكاساتها العملية والتطبيقية.
- **حرصت على** عزو الأقوال لأصحابها من مصادرها.
- **حاولت قدر الطاقة** وبما سمح به المقام التعريج على بعض المنهجيات

التأصيلية لمشروع القرآن علم وعمل، الذي كانت الدراسة أشبه ما تكون بأنموذج تطبيقي له.

* **استخدمت** الخرائط والتصميمات والأشكال التوضيحية، لتلخيص وإبراز العديد من النقاط.

❁ الدراسات السابقة:

وقفت بفضل الله على دراسات كثيرة متعلقة بالشق العلمي (التفسيري) فيما يخص سورة النصر، ودراسات تجاوزت ذلك إلى الحديث عن تدبرها؛ لكنني لم أقف – في حدود علمي واطِّلاعي – على دراساتٍ تطبيقيَّةٍ تتغيَّا تقريب مسألة العمل بسورة النصر وتدبرها وتعلمها والقيام بحقوقها كاملة بصورة منهجيَّةٍ منضبطة ترتكز على المنهجية النبوية في التعامل مع القرآن وتُناسب التطبيق على المستوى الشخصي، أو مستوى حلقات التدارس.

❁ خطة الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد تجهيزي، وثلاثة مباحث، وختام تعزيزي. ثم جاءت الخلاصة مع أهم النتائج والتوصيات.

وحاولنا في هذه الدراسة تناول مجموعة مهمة من المتطلبات، وإجابة مجموعة من التساؤلات، المتعلقة بالتدارس الكامل الشامل لسورة النصر، علما وعملا، تأصيلا وتفعيلا، وقد تم تلخيص تلك الأمور في: (النية)، و(المنهجية)، و(الأهمية)، و(الآلية)، و(النماذج الواقعية)، و(الاستمرارية).

وقد كان التمهيد التجهيزي بعنوان (النية والمنهجية)؛ وفيه حاولت التعريج على تمهيد لقضية العمل بالقرآن وأهميتها، والتنبيه على تسديد النية في تعلم القرآن، وتسديد المنهجية لتكون موافقة لما كان عليه النبي ﷺ

فيما يتعلق بالعمل بالقرآن كمتعلم وكمعلم.

ثم كان المبحث الأول؛ والذي جاء بعنوان «بين يدي السورة (الأهمية)»، والذي كان يهدف بالأساس لإبراز أهمية السورة، ومناقشة بعض القضايا المهمة المتعلقة بها من زاوية مقاصدية.

وقد جاء هذا المبحث في خمسة فروع؛ الأول: حاجتنا إلى سورة النصر، والثاني: اسم السورة، والثالث: نزول السورة، والرابع: موضوع السورة، والخامس: مقصد السورة.

وفي المبحث الثاني، والذي كان بعنوان «حقوق سورة النصر (الآلية)»، تم تناول الآلية أو الطريقة التي تم الارتكاز فيها على المنهج النبوي في التعامل مع القرآن لتوفية السورة حقوقها، وتم التركيز في الشرح على ما يتعلق بحقوق المعاني، مع التأكيد على حقوق المباني والإشارة إليها.

وقد جاء المبحث الثاني في خمسة فروع؛ كان الأول منها لحق الفهم (من خلال التفسير)، والثاني: لحق استخراج الوصايا العملية، والثالث: لحق التدبر، والرابع: لحق الاتباع، والخامس: لحقي التعليم والدعوة.

أما المبحث الثالث والأخير فقد جاء بعنوان «أهل سورة النصر (النماذج الواقعية)»، وفيه وقفنا على مساحة وجود المعاني التي جاءت بها سورة النصر في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإخوانه من الأنبياء وأصحابه الكرام.

ثم كان الختام التعزيزي والذي كان بعنوان (الاستمرارية)، واشتمل على جملة من التوصيات المهمة التي من شأنها أن تعزز وتدعم ما مَنَّ الله به من العلم والعمل المتعلق بسورة النصر.

التمهيد التجهيزي (النية والمنهجية)

عَن سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ (عند مسلم وأحمد: ناتل الشامي): أَيُّهَا الشَّيْخُ، أَنْشُدُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ[1] أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ ... ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ. فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو اللهُ بِهِ: رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ (وعند الترمذي: جَمَعَ القُرْآنَ) ... فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟

قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، فَكُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ.

وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: هُوَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

---

(١) أَيْ: شَهِق وغُشِيَ عَلَيْهِ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٥٨).

ودَخَلَ الشَّامِيَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦][(١)].

إنه مشهد يتحدث عن أناس سيدخلون النار! ليس هذا فحسب، بل سيكونون أول من يدخل النار! إنه مشهد يتحدث عن أناس سيعذبون في النار! ليس هذا فحسب، بل سَتُسَعَّر بهم! إذن لا بد أن يكونوا زناة أو عصاة، للأسف لا، إنهم – في الدنيا – داخل صف التقاة!

وبالتأمل في الحديث السالف نجد أنه يشير إلى أن ذلك القارئ أو الجامع كان لديه خلل في أمرين: الأول (في النية)، والثاني (في المنهجية)، فلم يعمل بمقتضى (شهادة ألا إله إلا الله) من تخليص عمله كله لله، ولم يتمكن من توحيد المقصود بتعلمه وتعليمه، ولم يعمل بمقتضى (شهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من اتباع منهجية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعلم القرآن وتعليمه، ولم يتمكن من توحيد الطريق الموصلة إلى المقصود.

وفي الإشارة إلى الخلل الذي في (النية) الذي تجلى عند ذلك العالم يقول ابن القيم: «وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ يَقُولُ: كَمَا أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ الْأَنْبِيَاءُ فَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢)، وأحمد (٨٢٦٠)، وانظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٢٢).

(٢) الداء والدواء (ص٣٤).

ويقول الشوكاني: «وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ فِعْلَ الطَّاعَاتِ الْعَظِيمَةِ مَعَ سُوءِ النِّيَّةِ مِنْ أَعْظَمِ الْوَبَالِ عَلَى فَاعِلِهِ»(١).

وفي الإشارة إلى الخلل الذي في (المنهجية) الذي تجلى عند ذلك القارئ أو الجامع؛ يقول ابن العربي: «وأعظم ما يَلْقَى به العبدُ رَبَّه يوم القيامة قرآنٌ جُمِعَ ولم يُعَمَل به»(٢)، ويقول الطيبي: «(وقرأ القرآن) أي على ظهر قلبه من غير تأمل في معانيه»(٣).

وقد كان خلل (المنهجية) نتيجة حتمية لخلل (النية)؛ لأن ذلك القارئ لو تعلَّم القرآن وعَلَّمه مخلصا لله حقا؛ لاضطره ذلك لأن يتعلم القرآن ويعلمه بطريقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه يعلم أنه لن يصل لمرضاة الله إلا من طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الإشارة إلى التلازم بين صلاح (النية)، وصلاح (المنهجية) يقول البيضاوي: «ومن عمل صالحا فهو مخلص في عمله، مستقبل بوجهه نحو معبوده، صعد من الحضيض الإنسي إلى الأوج القدسي، واستحق ما أعدّ له من الثواب في دار المآب»(٤).

هذا مشهد لا ينبغي أن يغيب عن خواطرنا أو يمر مرورا عابرا على قلوبنا؛ لأنه ربما كان أحدنا بطله للأسف! فلا تفسح المجال للشيطان ليحرمك من الانتفاع بما أنذرنا به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيصرفك عن التفكر في الحال والمآل.

إن كان ذاك الذي قرأ وأقرأ، وتعلم وعَلَّم، وأنفق من وقته وجهده وفكره

---

(١) نيل الأوطار (٧/ ٢٥٦).
(٢) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص٤٠٥).
(٣) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٦٦٦).
(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السُّنَّة (١/ ٢١).

لأجل القرآن، قد يُفْعَل به هذا! فكيف بمَنْ فَرَّط في تعلم القرآن أو تعليمه؟! كيف بمَن بخل على القرآن بوقته أو ماله أو جهده؟! إياك أن تقول: «الحمد لله أنا لم أحفظ أو أعمل في تحفيظ أحد أصلا» لأن مصيبتك مُركَّبة، وربما كانت أكبر.

إياك أن تتوهم أن سلامة النية وسدادها وحدها ينجيك، ستُسأل عن المنهجية التي تتعامل بها مع القرآن، وهل كنت مشغولا باتباعه أم لا؟ وإياك أن تتوهم أن سلامة المنهجية وسدادها وحرصك على العمل بالقرآن سينجيك حتى لو فسدت نيتك.

ويشهد لما جاء في الحديث السابق أن عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ ... وذكر منها: وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟**» وفي رواية: «**مَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»[1].

قال في تحفة الأحوذي (٦/ ٢٠٦): «فِيهِ إِيذَانٌ بِأَنَّ الْعِلْمَ مُقَدِّمَةُ الْعَمَلِ، وَهُوَ لَا يُعْتَدُّ بِهِ لَوْلَا الْعَمَلُ».

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، كلما قُرِضَتْ وَفَتْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يا جبريل؟ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَؤُنَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ**». **وفي رواية:** «**هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟**»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ١٩٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٨) وانظر: صَحِيح الْجَامِع (٧٢٩٩)، الصَّحِيحَة (٩٤٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٩)، وانظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (١٢٥)، وصَحِيح الْجَامِع (١٢٩).

وكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» ... فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ[1] رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» ... فلما سألهما عنه قالا: «فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ».

وفي رواية: «فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[2].

قال ابن بطال: «يعنى يترك حفظ حروفه والعمل بمعانيه، فأما إذا ترك حفظ حروفه وعمل بمعانيه فليس برافض له»[3].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الذي يُعلِّمُ الناس الخيرَ وينسى نفسَه، مَثَلُ الفَتيلة (وفي رواية: كَمَثَلِ السِّرَاجِ) تُضيءُ على الناسِ، وتَحرقُ نَفْسَها»[4].

وقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»[5]، فهل سيكون حجة لنا فعلا؟

قال النووي: «أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به، وإلا فهو حجة عليك»[6].

---

(١) الثَّلْغ: الشَّدْخ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٤٤)، (٢/ ١٠١).

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ١٣٥).

(٤) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث (١/ ٣٢٤)، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٤)، صَحِيح الْجَامِع (٥٨٣١).

(٥) صحيح مسلم (١/ ١٤٠).

(٦) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠٢).

وقال الشيخ ابن باز: «والمعنى أنه حجة لك إن عملت به، أو حجة عليك إن لم تعمل به»[1].

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ١٨٦).

أين نحن من هؤلاء؟

* وفي صحيح البخاري (٢٤/ ٣٩٠): «﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ الْقُرْآنُ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ الْمُؤْمِنُ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا الَّذِي أَعْطَيْتَنِي عَمِلْتُ بِمَا فِيهِ».

* كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّمَا أَخْشَى مِنْ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْعُوَنِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيَقُولُ لِي: يَا عُوَيْمِرُ، فَأَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبِّي، فَيَقُولُ لِي: مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟(١).

* وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عثمان، علي، ابن مسعود، أُبَيّ، زيد) أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، فلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ»(٢).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١١٢)، شعب الإيمان للبيهقي(٣/ ٣٠٢)، جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٧٩)، شرح السُّنَّة للبغوي (١٤/ ٣٣٥)، وانظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (١٢٩).

(٢) رواه أحمد (٢٣٥٢٩)، وحسنه الأرنؤوط.

وصايا أرحم البشر بنا

* قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ**»(١).

* **وقَالَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ القرآن وتعلَّم وعمل به؛ أُلبِس والداه يوم القيامة تاجا من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتين لا يقوم لهما الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟! فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**»(٢).

قال القرطبي: «فمن قرأه قراءة تدبر وفهم، وعمل بمقتضاه؛ فقد حصل له الغاية والفائدة القصوى من تلاوة هذا الكتاب العظيم»(٣).

* **وفي حديث حذيفة** حين أخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما سيحدث من اختلاف وفرقة بعده؛ قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله؛ فما تأمرني إن أدركت ذلك. قال: «**تعلَّم كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ، **واعمل به فهو المخرج من ذلك**». قال حذيفة: فأعدت عليه ثلاثًا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثًا: «**تعلَّم كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ **واعمل به فهو النجاة**»(٤).

وانطلاقا من كل ما سبق آثرنا تناول (سورة النصر) هنا بطريقة يتم فيها التركيز على المنهجية النبوية الشاملة في التعامل مع القرآن (منهجية العلم والعمل)، بل لا نحسب أنه يسعنا تناول السورة منشغلين بالتركيز على (العلم) الذي فيها أو

(١) رواه أحمد (٢٤/ ٢٨٨) وصححه الأرناؤوط، وأبو يعلي (٣/ ٨٨)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٨٦)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (١١٦٨).

(٢) رواه أحمد (٣٨/ ٤٢) وحسنه الأرنؤوط، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٠).

(٣) التذكار في أفضل الأذكار (ص٦٧)

(٤) رواه أحمد (٣٨/ ٣١٧) وحسنه الأرنؤوط، ورواه أبو داود (٤/ ٩٦)، والنسائي (٧/ ٢٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٢٤٢) بلفظ: «تعلم كتاب الله واتبع ما فيه».

تفسيرها فقط، بل لا بد من التركيز على تعليم العمل الذي فيها، وكيفية تطبيقه، فلم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعلِّم الصحابة (العلم) فقط، وإنما كان يُعلِّمهم (العمل) أيضا.

فالله قد أنزل هذه السورة وغيرها لنعمل بها؛ وفي طريق التخلُّق بالعمل الذي جاء فيها، يحتاج الإنسان إلى المخرجات التعليمية الثلاثة: فيحتاج لتعلم معاني السورة (فهمها بعد قراءتها قراءة صحيحة)، وبذلك يتحقق المخرج (المعرفي)، ثم يتدبرها (إسقاطا وتفكرا وتفاعلا)، وبذلك يتحقق المخرج (الوجداني)، فيتحرك قلبه وتزيد دافعيته، ثم يتعرف على كيفية التزكي بما جاء في تلك السورة (الخطة التشغيلية للاتباع)، وبذلك يتحقق المخرج (المهاري).

وذلك تقريبٌ لما كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم به في مجالس التعليم القرآني؛ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

يقول السعدي: «فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تُنَفَّذ الأحكام، وما به تُدْرَك فوائدها وثمراتها»(١).

قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾، وَتِلَاوَتُهَا: ذِكْرُهَا الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ لِتَرْسَخَ فِي النَّفْسِ وَتُؤَثِّرَ فِي الْقَلْبِ(٢). وَتِلَاوَتُهَا عِبَارَةٌ عَنْ تِلَاوَةِ مَا فِيهِ بَيَانُهَا وَتَوْجِيهِ النُّفُوسِ إِلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا وَالِاعْتِبَارِ بِهَا(٣)، فهو يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِمْ قِرَاءَةَ تَذْكِيرٍ(٤). فلم يكن ما طلبه الله من رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقتصرا على قراءة الآيات للقراءة،

(١) تفسير السعدي (ص١٥٥).
(٢) تفسير المنار (١/ ٣٨٨).
(٣) تفسير المنار (٤/ ١٨٢).
(٤) التحرير والتنوير (١/ ٧٢٣).

وإنما قراءة للتذكير والاتباع (تلاوة) فيشفعها ببيان معانيها والتوجيه إلى تدبرها والعمل بها.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وَتَعْلِيمُ الْكِتَابِ هُوَ تَبْيِينُ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ وَأَمَرَهُمْ بِحِفْظِ أَلْفَاظِهِ، لِتَكُونَ مَعَانِيهِ حَاضِرَةً عِنْدَهُمْ(١).

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: «يُعَلِّمُهُمُ الْخَيْرَ فَيَفْعَلُوهُ، وَالشَّرَّ فَيَتَّقُوهُ، وَيُخْبِرُهُمْ بِرِضَاهُ عَنْهُمْ إِذَا أَطَاعُوهُ وَاسْتَكْثَرُوا مِنْ طَاعَتِهِ، وَتَجَنَّبُوا مَا سَخِطَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ»(٢).

ويقول القرطبي: «وَقِيلَ: ... وَالْكِتَابُ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾، قال ابن عاشور: «وَالْحِكْمَةُ إِتْقَانُ الْعِلْمِ وَإِجْرَاءُ الْفِعْلِ عَلَى وَفْقِ ذَلِكَ الْعِلْمِ»(٤)، واختار القاري أن الحكمة هي «إِتْقَان الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ»(٥).

وقال السندي: «قِيلَ ... مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَالْعَمَلُ بِمَا يَنْبَغِي»(٦).

وقال الكرماني: «قيل العلم الوافي والعمل الكافي، وقيل العلم بالسنة»(٧).

وقال ابن رجب: «ويعني بالحكمة: فهم معاني القرآن والعمل بما فيه. فالحكمة هي: فهم القرآن والعمل به، فلا يكتفي بتلاوة ألفاظ الكتاب حتى يعلم معناه ويعمل بمقتضاه، فمن جمع له ذلك كله فقد أوتي الحكمة؛ فالحكمة هي

(١) التحرير والتنوير (٤/ ١٥٩).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٥).
(٣) تفسير القرطبي (٢/ ١٣١).
(٤) التحرير والتنوير (٣/ ٦١).
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٩٧١).
(٦) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٧١).
(٧) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٥/ ٢٤).

العلم النافع الذي يتبعه العمل الصالح. ومن قال: «الحكمة: السُّنَّة»، فقوله الحق لأن السُّنَّة تفسر القرآن وتبين معانيه وتحض على اتباعه»[1].

لذا نرى - والله أعلم - أن الأرجح في تفسير الحكمة هو «إتقان العمل بالعلم، الناشئ عن دقة فهمه وحسن التفقه فيه وتدبره، والتأسي بما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنَّته العملية». فتفسيرات العلماء للحكمة تتظاهر جميعا لتشير إلى أن الحكمة هي (العمل بالعلم)، ولعل سُنَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العملية تقوي ذلك، حيث لم يكن دوره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما صحَّ عنه يقتصر على تعليم المعاني، بل على تعليم كيفية العمل بها أيضا.

۞ وما الفرق بين العمل والحكمة إذن؟:

ولعله تجدر الإشارة إلى أن الحكمة ليست مجرد عمل؛ بل عمل على مقتضى الحكمة؛ ومادة حكم في لغة العرب؛ تشير إلى معاني: (الحُكم)، (الإحكام بمعنى الإتقان والدقة)، (الإحكام بمعنى الهيمنة والتمكن)، (والحكمة بمعنى وضع الشيء في موضع على مقتضى كمال العلم)، وعليه فإن تعليم تلك الحكمة ليست عملية تلقين معلومات نظرية أو خطاب عقلي أو معرفي محض، بل يتخطى ذلك إلى خطاب وجداني نستهدف به القلب ليتم العمل أحكم ما يكون في أعلى درجات الكمال؛ فيضحى الشخص حينها حكيما، والحكيم رجل يتسم بالعلم والخبرة والتؤدة وغيرها من الصفات التي تجعله يتفكر في عواقب ما سيفعله قبل الإقدام عليه، ويقيِّم مدى حاجته له، ثم يشرع في اتباع مقتضى علمه الكامل. وذلك التفكر في العواقب وتقييم حالة النفس هو «التدبر» باختصار على ما قررنا سابقا. ولذا نقول: إن الحكمة هي أكمل صور العمل التي يتوفر فيها المخرج

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص٨٤).

المعرفي الكامل (العلم)، والمخرج الوجداني الكامل (التدبر)، والمخرج المهاري الكامل (الاتباع)؛ لذا سمى الله كتابه كثيرا (حكمة)، وسمى سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حكمة).

ويؤكد ما ذهبنا إليه قول ابن عاشور: «مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ وَفَهِمَ خَفَايَاهُ نَالَ الْحِكْمَةَ»(١).

قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، بالتربية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الردية، التي لا تزكو النفوس معها(٢).

وقال ابن عباس عنها: «أَيْ: يَجْعَلُهُمْ أَزْكِيَاءَ الْقُلُوبِ بِالْإِيمَانِ»(٣).

ويقول صاحب المنار: «عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّ تَعْلِيمَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لَا يَكْفِي فِي إِصْلَاحِ الْأُمَمِ وَإِسْعَادِهَا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُقْرَنَ التَّعْلِيمُ بِالتَّرْبِيَةِ عَلَى الْفَضَائِلِ، وَالْحَمْلِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِحُسْنِ الْأُسْوَةِ وَالسِّيَاسَةِ، فَقَالَ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أَيْ يُطَهِّرُ نُفُوسَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، وَيَنْزِعُ مِنْهَا تِلْكَ الْعَادَاتِ الرَّدِيئَةَ، وَيُعَوِّدُهَا الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ الَّتِي تَطْبَعُ فِي النُّفُوسِ مَلَكَاتِ الْخَيْرِ، وَيُبَغِّضُ إِلَيْهَا الْقَبِيحَةَ الَّتِي تُغْرِيهَا بِالشَّرِّ»(٤).

فالتزكية أمر أبعد من التعليم، إنه (الخطط التشغيلية لتعاهد التربية على ما تم تعلمه أو التخلق به)، لكن القرآن يؤثر استخدام كلمة «تزكية»؛ لأنها أكمل من كلمة «تربية» من وجوه لا يتسع المجال لبسطها، لكن لعل أبرزها أن التطهير - والذي هو الأهم بالنسبة للإنسان - أكثر وضوحا في التربية، كما إن النماء

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٠٩)
(٢) تفسير السعدي (ص٦٦)
(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٩٢)
(٤) تفسير المنار (١/ ٣٨٩).

والتطوير في (التزكية) يكون مرتكزا على قاعدة صلبة من التطهير، أو موازيا لها على الأقل، بخلاف التربية.

أو بعبارة أخرى هي (الخروج من الظلمات إلى النور)، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]؛ وهذا هو غاية إنزال القرآن الكريم، والمقياس الذي نقيس عليه نجاح عملية التعليم القرآني (التزكي بكل آية وسورة فيه للخروج من الظلمات إلى النور)؛ فمَنْ لَمْ يَتَزَكّ، لم يتعلم القرآن.

۞ والخلاصة:

أن القرآن يؤكد ما يؤكده الصحابة؛ من أن دور الرسول في تعليم القرآن لم يكن تعليميا محضا، وإنما كان تعليميا تربويا تأهيليا؛ ويمكننا تلخيصه في:

١ - **تلاوة الآيات على الصحابة:** لكنها ليست قراءة للقراءة؛ بل تلاوة تدبرية، يكررها حتى تؤثر في النفس وفي القلب فيحدث التذكير؛ ويشفعها بالتوجيه إلى أن المراد من الآيات المتلوة هو اتباعها. ولقد أشار إلى كل ذلك ابن عاشور ورشيد رضا.

٢ - **تعليم الكتاب:** فيعلمهم المباني ويضبطها لهم، ويعلمهم المعاني ويجليها لهم؛ ويحصل لهم بذلك المخرج المعرفي لعملية التعليم القرآني.

٣- **تعليم الحكمة:** وهي إتقان كيفية العمل بالعلم، وذلك يتضمن:

* **تدبرها معهم؛** ليحصل لهم المخرج الوجداني لعملية التعليم القرآني (وقد سبق شرح ذلك).

وذلك يبدأ من لحظة التلاوة، حيث يخاطب القلوب ويرتجي بالتلاوة تأثرها وتذكرها، ويفهمهم الآيات، ويعلمهم عاقبة ومآل عملهم بما

تعلموه. ولعل كلام ابن إسحاق السابق يشي بذلك، حيث يقول: «وَيُخْبِرُهُمْ بِرِضَاهُ عَنْهُمْ إِذَا أَطَاعُوهُ وَاسْتَكْثَرُوا مِنْ طَاعَتِهِ، وَتَجَنَّبُوا مَا سَخِطَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ»[1].

* **وتعليمهم أكمل صور التطهر والتطور** (نظريا)، ويعلمهم إياها (عمليا) حين يمتثل ذلك في نفسه.

٤- **التزكية:** يحرص على أن يطهرهم ويطورهم بذلك العلم (يزكيهم)؛ ويتعاهدهم في تزكية أنفسهم به؛ وبذلك يحصل المخرج المهاري لعملية التعليم القرآني (التخلق).

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٥)

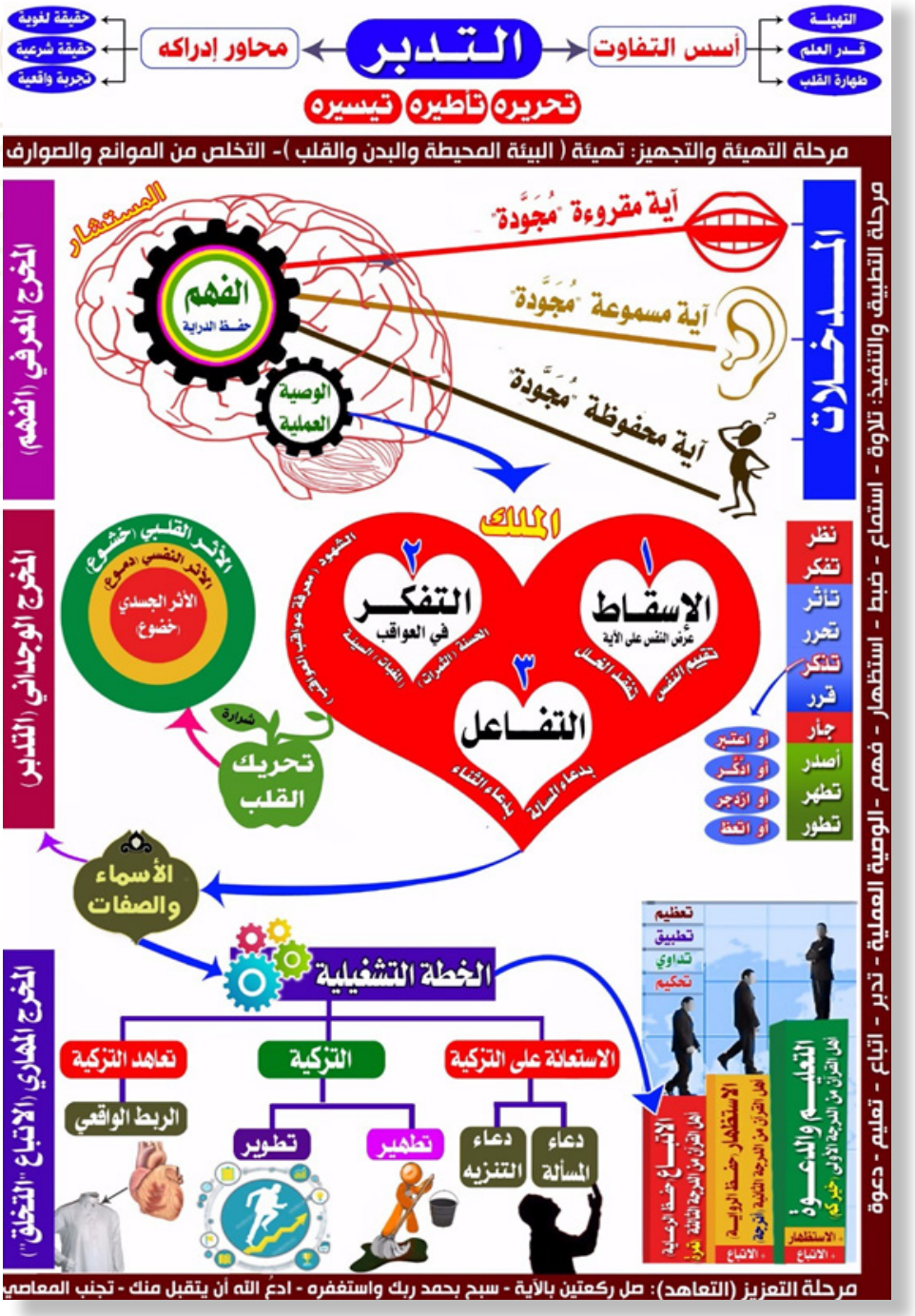
التدبر
تحريره تأطيره تيسيره
أسس التفاوت
التهيئة
قدر العلم
طهارة القلب
محاور إدراكه
حقيقة لغوية
حقيقة شرعية
تجربة واقعية
مرحلة التهيئة والتجهيز: تهيئة (البيئة المحيطة والبدن والقلب)- التخلص من الموانع والصوارف
المخرج المعرفي (الفهم)
المستشار
الفهم
حضة الدراية
الوصية العملية
المدخلات
آية مقروءة "مُجوَّدة"
آية مسموعة "مُجوَّدة"
آية محفوظة "مُجوَّدة"
الملك
١ الإسقاط
عرض النفس على الآية
تقييم النفس
٢ التفكر
في العواقب
الحسنة (الثمرات)
٣ التفاعل
بدعاء السائلة
بدعاء الثناء
نظر
تفكر
تأثر
تحرر
تذكر
قرر
جاز
أصدر
تطهر
تطور
أو اعتبر
أو اذكر
أو ازدجر
أو اتعظ
المخرج الوجداني (التدبر)
الأثر القلبي (خشوع)
الأثر النفسي (دموع)
الأثر الجسدي (خضوع)
ثمرة
تحريك القلب
الأسماء والصفات
الخطة التشغيلية
الاستعانة على التزكية
التزكية
تعاهد التزكية
الربط الواقعي
تطوير
تطهير
دعاء التنزيه
دعاء المسألة
المخرج المهاري (الاتباع "التحقق")
تعظيم
تطبيق
تداوي
تحكيم
التعظيم والدعوة
الاستظهار
الاتباع
الاستظهار حفظ الرواية
الاتباع
الاتباع حفظ الرواية
مرحلة التطبيق والتنفيذ: تلاوة - استماع - ضبط - استظهار - فهم - الوصية العملية - تدبر - اتباع - تعليم - دعوة
مرحلة التعزيز (التعاهد): صل ركعتين بالآية - سبح بحمد ربك واستغفره - ادع الله أن يتقبل منك - تجنب المعاصي

المبحث الأول

بين يدي السورة (الأهمية)

الفرع الأول

حاجتنا إلى سورة النصر

إن الرغبة في الإنجاز وتحقيق الانتصار والنجاح في الحياة رغبة كامنة داخل كل إنسان، والكل يسعى أن ينتصر على كل معوقاته ومكدراته حتى ولو كانت نفسه التي بين جنبيه، إلا أن الأفهام والرؤى تتباين تباينًا واضحًا في حقيقة النصر ومعاييره ومكملاته، فتفرز جميعًا نصرًا مبتورًا أو مكسورًا.

لذا تتجلى نعمة الله علينا حين يُعلمنا كل ما يتعلق بالنصر، ويهدينا إلى الطريق نحو النصر الكامل المنشود في أوجز عبارة وأروع بيان.

وإطلالة أخرى على واقع الإنجاز في حياتنا، تجد الكثير من الإنجازات تزور حياتنا كالنزوات، والأخرى تستعصي علينا رغم كثرة المحاولات، وما ذاك إلا لأننا أهملنا ما ينبغي القيام به بعد النصر والإنجاز من واجبات. فتأتي سورة النصر تحررنا وتُحَصِّنا وترشدنا لما ينبغي علينا فعله بعد النصر والإنجاز؛ لترعى لنا دوام ما تحقق من إنجازات، وتعيننا على تحقيق ما استعصى من الأمنيات.

فتعالوا بنا نُطالع سورة النصر؛ لنتعرف من خلالها على حقيقة النصر ومعاييره ومكملاته؛ لنكون من المنتصرين المفلحين في الدنيا والآخرة.

الفرع الثاني

اسم السورة

١) **سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي كَلَامِ السَّلَفِ سُورَةَ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾** رَوَى الْبُخَارِيُّ: «أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ ...» الْحَدِيثَ.

٢) **وَسُمِّيَتْ فِي الْمَصَاحِفِ وَفِي مُعْظَمِ التَّفَاسِيرِ «سُورَةَ النَّصْرِ»** لِذِكْرِ نَصْرِ اللهِ فِيهَا، فَسُمِّيَتْ بِالنَّصْرِ الْمَعْهُودِ عَهْدًا ذِكْرِيًّا.

٣) **وَهِيَ مُعَنْوَنَةٌ فِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»** «سُورَةَ الْفَتْحِ» لِوُقُوعِ هَذَا اللَّفْظِ فِيهَا، فَيَكُونُ هَذَا الِاسْمُ مُشْتَرَكًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ سُورَةِ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا).

٤) **وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهَا تُسَمَّى «سُورَةَ التَّوْدِيعِ»**[١] فِي «الْإِتْقَانِ»[٢] لِمَا فِيهَا مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى وَدَاعِهِ ﷺ اهـ. يَعْنِي مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى اقْتِرَابِ لِحَاقِهِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى كَمَا سَيَأْتِي عَنْ عَائِشَةَ[٣].

لقد ناقشت تلك السورة الوجيزة المبنى العظيمة المعنى قضية النصر والإنجاز، وتحدثت عن كل ما يتعلق به، وخصوصا مُكَمِّلاته (واجبات ما بعد النصر). لذا فقد جاء الاسم معبراً عن مقصد السورة وفكرتها أكمل تعبير، فهو حقا الكلمة المحورية في السورة.

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٢٩).

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١٩٦).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٧).

الفرع الثالث

نزول السورة

* **زمان نزولها:** وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ[(١)].

* **وَاخْتُلِفَ فِي وَقْتِ نُزُولِهَا[(٢)]:**

فَقِيلَ: نَزَلَتْ مُنْصَرَفَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ خَيْبَرَ (أَيْ فِي سَنَةِ سَبْعٍ).

وَعَنْ قَتَادَةَ: نَزَلَتْ قَبْلَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَنَتَيْنِ.

وروي أَنَّهَا نزلت أَوَاسِطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ (أَيْ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ)، وَضَعَّفَهُ ابْنُ رَجَبٍ[(٣)].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشَ بعد نُزُولِهَا نَحوًا من ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَعَلَيْهِ تَكُونُ (إِذَا) مُسْتَعْمَلَةً لِلزَّمَنِ الْمَاضِي؛ لِأَنَّ الْفَتْحَ وَدُخُولَ النَّاسِ فِي الدِّينِ قَدْ وَقَعَا.

ورجح ابن عاشور القول الأول، وقال: «وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَتْ إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ جَاءَ نَصْرُ اللهِ، وَجَاءَ الْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ قَوْمٌ نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ لَيِّنَةٌ طَاعَتُهُمْ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**»[(٤)]، وَمَجِيءُ أَهْلِ الْيَمَنِ أَوَّلَ مَرَّةٍ هُوَ مَجِيء وَفد الْأَشْعَرِيِّينَ عَامَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ. وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَهْلُ التَّأْوِيلِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَتْحِ فِي الْآيَةِ هُوَ فَتْحُ مَكَّةَ، وَعَلَيْهِ فَالْفَتْحُ مُسْتَقْبَلٌ وَدُخُولُ النَّاسِ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا مُسْتَقْبَلٌ أَيْضًا وَهُوَ الْأَلْيَقُ

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٢٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٧-٥٨٩).

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٦٤٠).

(٤) صحيح ابن حبان (١٦/ ٢٨٧)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

بِاسْتِعْمَالِ (إِذَا) وَيُحْمَلُ قَوْلُ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ عَلَى أَنَّهُ اسْتِعْمَالُ الْمَاضِي فِي مَعْنَى الْمُضَارِعِ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِهِ أَوْ لِأَنَّ النَّصْرَ فِي خَيْبَرَ كَانَ بَادِرَةً لِفَتْحِ مَكَّةَ»(١).

قُلت: وكلام العَلَّامة ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ يُشْكِل عليه ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «**قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَبَكَتْ، فَقَالَ: «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لَحَاقًا بِي**»، فَضَحِكَتْ، فَرَآهَا بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ: يَا فَاطِمَةُ، رَأَيْنَاكِ بَكَيْتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي: «**لَا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لَاحِقٌ بِي**» فَضَحِكْتُ(٢).

وزاد في رواية المشكاة: «إذا جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، والإيمان يمان، والحكمة يمانية».

ويرى ابن عاشور أن قوله «لما نزلت» مُدْرَج من كلام الراوي، لكن ليس هناك دليل على كونه مدرجا - فيما نعلم - وقد جاء في روايات أخرى أن ذلك كان قُرب وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويؤيده أيضا أن السورة آخر ما نزل كسورة كاملة، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ - وَقَالَ هَارُونُ: تَدْرِي - آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: «نَعَمْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ»، قَالَ: صَدَقْتَ(٣).

أما ربط الأمر بمجيء أهل اليمن لا دليل عليه؛ فإنه يخبر أن كل ما جاء في السورة

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٧-٥٨٩)

(٢) مشكاة المصابيح (٣/ ٢٩٩) وحسنه الألباني، وهو في سنن الدارمي (١/ ٢١٦) وصححه حسين أسد.

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٣١٨).

قد حصل، فقد نصره الله وفتح عليه مكة، وجاء أهل اليمن من قبل فتح مكة وبعده يدخلون في دين الله أفواجا.

ويحسم المسألة تقريبا هذا الحديث: عن ابن عباس قال: لما نزلتْ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي»، بأنه مقبوض في تلك السنَة[1].

وعليه يكون الأرجح القول الرابع: أن النزول كان قبل الوفاة بثلاثة أشهر. والله تعالى أعلم.

ترتيب نزولها:

١) **وَعَدَّهَا جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ السُّورَةَ الْمِائَةَ وَالثَّلَاثَ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، وَقَالَ:** نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْحَشْرِ وَقَبْلَ سُورَةِ النُّورِ. وَهَذَا جَارٍ عَلَى رِوَايَةِ أَنَّهَا نَزَلَتْ عَقِبَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ.

٢) **وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ** فَتَكُونُ عَلَى قَوْلِهِ السُّورَةَ الْمِائَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ بَرَاءَةَ وَلَمْ تُنَزَّلْ بَعْدَهَا سُورَةٌ أُخْرَى[2].

(١) مسند أحمد (٢/ ٤٣٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٩)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٢٩)

الفرع الرابع

موضوع السورة

لا يُتَصور – حتى في دنيا الناس – أن يُسْمَى نصٌ باسم، أو يُوْضَع له عنوان ولا يكون معبرا عن مضمونه، أو متعلقا به. وبما أن هذه السورة الكريمة، سَمَّاها الله سورة النصر؛ لذا فإن موضوعها ولا شك الحديث عن (النصر بمفهومه الشامل الكامل).

لكن قضية (النصر) أو الإنجاز قد تم تناولها كثيرا في القرآن، فما الذي تميزت به سورة النصر إذاً؟

لن نحتاج لكثير تأمل لندرك أن سورة النصر قد تم التركيز فيها على (واجبات ما بعد النصر) أو مُكَمِّلاته ومُعززاته (التسبيح «فسبح» – الصلاة «فسبح» – الحمد والشكر ونسبة الفضل إلى الله «بحمد ربك» – الانكسار والاستغفار «واستغفره» – تجديد التوبة «إنه كان توابا»).

في الوقت الذي لم تُغفل فيه السورة الإشارة إلى قضايا أخرى متعلقة بالنصر: كاحتمالية حدوثه ﴿جَآءَ﴾، ومصدره (﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾)، ووجهته ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾، ومقاييس كماله (حقيقة لا خيال ﴿جَآءَ﴾، ﴿وَرَأَيۡتَ﴾، فتح القلوب والدروب ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، الاستمرارية والديمومة ﴿يَدۡخُلُونَ﴾، صلاح الدين والدنيا ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾، الاستقامة على الحق ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾، الجماعية والنظام ﴿أَفۡوَاجٗا﴾).

الفرع الخامس

مقصد السورة

تتحدث السورة عن النصر والإنجاز بتمام الروعة والإيجاز. وتُوَسِّع مفهوم النصر ليشمل كل أمر نجح الإنسان في تحقيقه، أو كل فوز حققه، كالتعبد في مواسم الخيرات، والتخلص من بعض المنكرات والمكدرات، واكتساب بعض المزايا والمهارات.

سورة النصر تعيد تشكيل ثقافة جديدة للأمة المسلمة فيما يتعلق بالنصر، مفادها أن نُعْرِض بعد النصر عن الفخر والاغترار، ونترقى في معارج أسمى حيث التواضع والانكسار والشكر والاستغفار، وأن لحظات النصر والتمكين أقل بكثير من سنوات الجهد التي يعيشها الداعية الأمين.

سورة النصر تعلن أنه: «لا يكتمل الانتصار إلا بالتحرر من العُجب والأوزار»، وتؤكد أن: «الانكسار ينبغي أن يكون رديف الانتصار»، وتبين أن: «التسبيح والانكسار، والشكر والاستغفار، أهم صور التفاعل مع نعمة الانتصار»، وتُنبِّه المنتصر: «لا تنشغل بالنصر عن النصير، ولا بالفتح عن الفتَّاح، ولا بالإنجاز عمن أنجز لك، ولا بالنعمة عمن أنعم عليك».

المبحث الثاني

حقوق سورة النصر علينا (الآلية)

تلك السورة العظيمة لها علينا العديد من الحقوق، ولو أردنا أن نوفيها حقوقها، وأن نكون من أهلها، ليكتمل انتفاعنا واستمتاعنا بها، فينبغي أن نتعامل معها بطريقة «العلم والعمل» ومنهجية «الإيمان قبل القرآن».

ما هي أهدافنا بالنسبة لهذه السورة؟:

هدفنا الاستراتيجي الأكبر فيما يتعلق بهذه السورة، يتلخص في أن نكون من أهلها المؤمنين بها (من الدرجة الأولى «خيركم أو الرباني»)، وذلك يحصل إن حققنا ثلاثة أهداف مرحلية: الأول (اتباعها «العمل بها»)، والثاني (ضبط مبانيها وحفظها رواية «تعلم مبانيها»)، والثالث (تعليم مبانيها ومعانيها).

فبتحقيق الهدف الأول نصل إلى الدرجة الثالثة من درجات أهل القرآن (مرتبة «التمرة»)، وبتحقيق الهدف الثاني نترقى من الدرجة الثالثة إلى الثانية (مرتبة «الأترجة»)، وبتحقيق الهدف الثالث نترقى من الدرجة الثانية إلى الأولى (مرتبة «خيركم»). ولكل مرحلة من هذه المراحل أهداف تشغيلية، بتحقيقها نتمكن من تحقيق أهداف المرحلة.

كيف نحقق الأهداف السابقة؟:

ونستطيع الوصول لتحقيق هدفنا الاستراتيجي من خلال تدارس الآية بالترتيب التالي:

* **تدارس المعاني** (تدارس الفهم، وتدارس التدبر، وتدارس الاتباع).
* **تدارس المباني** (تدارس الضبط، وحفظ الرواية).

* **تدارس التعليم للغير** (للمباني والمعاني).

ويحصل ذلك بتوفية الآية حقوق مبانيها ومعانيها العشرة (الحقوق العلمية والعملية): التلاوة، الاستماع، التجويد، الاستظهار، الفهم. ثم استخراج الوصايا العملية: التدبر، الاتباع، التعليم، الدعوة.

كيف نقيس نجاحنا في تحقيق الأهداف السابقة؟:

ويمكننا قياس النجاح في تحقيق أهدافنا من خلال وسائلها بالتالي: تفهُّم الآيات فهما صحيحا (مخرج معرفي)، وتحرُّك القلب ونشاطه لاتباعها (مخرج وجداني)، ووجود خطة تشغيلية محددة للاتباع (مخرج مهاري)، وإتقان تجويد الآيات واستظهارها، وتعليم معانيها ومبانيها.

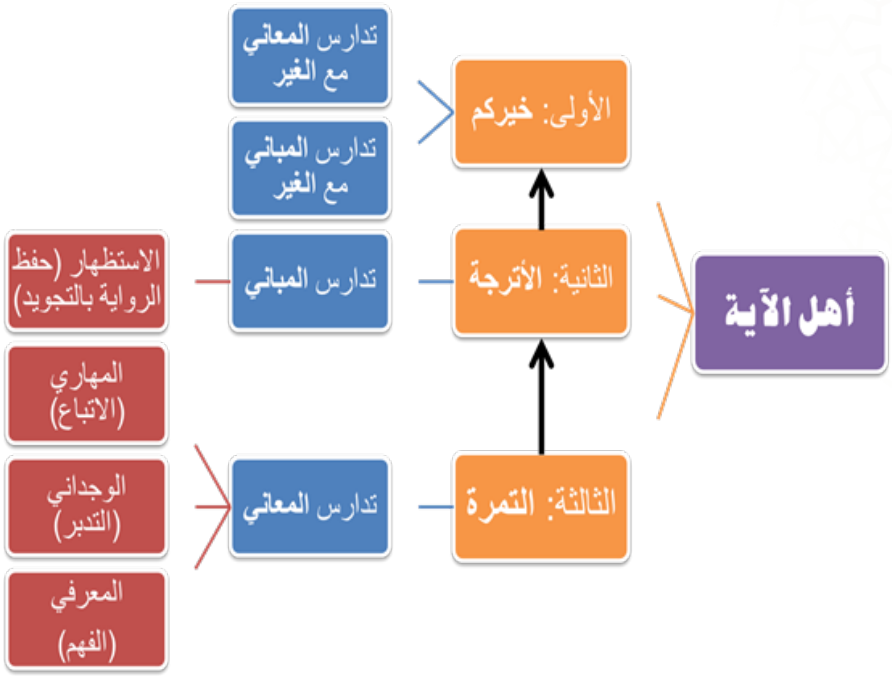

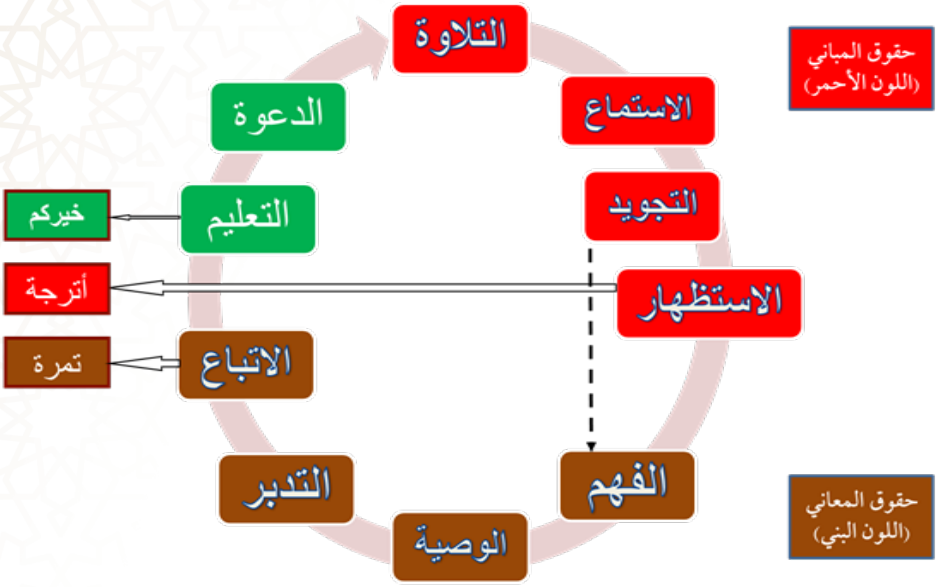
التلاوة
الاستماع
التجويد
الاستظهار
الفهم
الوصية
التدبر
الاتباع
تمرة
التعليم
خيركم
الدعوة
أترجة
حقوق المباني
(اللون الأحمر)
حقوق المعاني
(اللون البني)

الفرع الأول

الحق الخامس (الفهم من خلال كتب التفسير)

فهم الآيات فرض عين على كل قادر[1]؛ أما تفسيرها فهو فرض كفاية لا يقوم به إلا المتخصصون من المفسرين، وعليه يكون التفسير هو الوسيلة التي يستخدمها أي مسلم للفهم، فهو لا يستقل بالفهم بنفسه، بل يطالع كتب المفسرين المعتمدين أو يراجع المتخصصين؛ ليفهم من خلال ذلك كلام الله، وإن انعقد له فهم في آية قبل المطالعة أو المراجعة، فلا يعتمده حتى يطمئن لصحة فهمه بمطالعة كتب المفسرين المعتمدين، أو مراجعة المتخصصين.

لكنَّ الفهم مستويات، وفهم واحد من المتخصصين لا شك يكون أعمق من فهم واحد من جماهير المسلمين؛ لذا فإننا نُقَسِّم خطوة الفهم في مشروعنا إلى دوائر أو مستويات تتدرج في العمق، فنجعل الدائرة الخارجية (للمعنى الإجمالي أو الجملي) والتي تليها للداخل (للمفردات والتراكيب)، والتي تليها للداخل (للطائف والنكات)، والتي تليها للداخل (للآيات والكلمات المعاونة في السياق القرآني).

وتجدر الإشارة إلى أن ما يحتاجه الإنسان لمباشرة التدبر والاتباع، والجواز إلى المراحل التالية في تدارس الآيات، هو الدائرة الأولى (الفهم الإجمالي)، وعلى أكثر التقديرات الدائرة الثانية (المفردات والتراكيب)، لأن التدارس أولا لا بُدَّ أن يكون للتدبر والعمل كخطوات في طريق التحقق بالربانية، أما تفاصيل الفهم العميق والعالمية فتأتي بعد ذلك.

---

(١) لأن كل الأوامر بالتعقل والتفكر والتدبر والتذكر والاعتبار والاتباع أوامر ضمنية بالفهم، وهو من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ لذا فإنه أكثر ما أمر الله به فيما يتعلق بالتعامل مع القرآن.

ولا ننكر أن تلك التفاصيل الدقيقة في الفهم تُجَوِّد التدبر والعمل (ولا نراها تدبرا أو عملا)، لذا أوردناها هنا؛ لكن ننبه أن الأنسب لجماهير المسلمين الاكتفاء بدائرة (المعنى الإجمالي) وتركيز الجهد على ما بعد الفهم الصحيح من التدبر والعمل، كما نحذر المتخصصين من الاكتفاء بها والوقوف عندها.

دائرة الفهم الأولى: المعنى الإجمالي (للجماهير):

يوصينا الله عَزَّوَجَلَّ بالمسارعة بالتسبيح والصلاة والتحميد والاستغفار شكرا له سبحانه إذا امتن علينا سبحانه بانتصار أو إنجاز حقيقي.

فيخبر سبحانه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويخبرنا معه أنه إذا تحقق النصر والفتح الذي كنت تتمناه، والذي هو في الحقيقة من عند الله، ورأيت من الناس جماعات كثيرة تستجيب لدعوتك وتدخل في دين الله، فلا تتأخر حينها عن المبادرة بتسبيح الله ذكرا وصلاة، وعن تحميده جل في علاه، وعن استغفاره وطلب رضاه، وأبشر فإنه سبحانه تواب سيوفقك لما يحب ويقبلك.

۞ دوائر الفهم التالية: المفردات واللطائف والسياقات (للمتخصصين):

* ﴿إِذَا﴾: شرطية؛ لتؤكد الصلة بين النصر ومُكملاته.

وقيل: إنها تشير إلى الاستقبال فقط، فتعبر عن أمر لم يحدث بعد، وربما كان هذا هو الأكثر، لكنها تشير أحيانا للحاضر والماضي.

قال ابن عاشور: «(إِذا) اسْمُ زَمَانٍ مُطْلَقٌ، فَقَدْ يُسْتَعْمَلُ لِلزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ غَالِبًا. وَلِذَلِكَ يُضَمَّنُ مَعْنَى الشَّرْطِ غَالِبًا، وَيَكُونُ الْفِعْلُ الَّذِي تُضَافُ إِلَيْهِ بِصِيغَةِ الْمَاضِي غَالِبًا لِإِفَادَةِ التَّحَقُّقِ، وَقَدْ يَكُونُ مُضَارِعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]. وَيُسْتَعْمَلُ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي وَحِينَئِذٍ يَتَعَيَّنُ أَنْ تَقَعَ الْجُمْلَةُ بَعْدَهُ بِصِيغَةِ الْمَاضِي، وَلَا تُضَمَّنُ إِذا مَعْنَى الشَّرْطِ حِينَئِذٍ وَإِنَّمَا هِيَ لِمُجَرَّدِ الْإِخْبَارِ دُونَ قَصْدِ تَعْلِيقٍ نَحْوَ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]. وإِذا هُنَا مُضَمَّنَةٌ الشَّرْطَ لَا مَحَالَةَ لوُجُود الْفَاء فِي قَوْله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]»[(١)].

ويترتب على ذلك الفصل بين الأقوال المتباينة حول نزول السورة، فَمَن يرى أن السورة نزلت قبل فتح مكة، يتبنى أن تكون «إذا» للاستقبال، وتكون السورة بشارةً وتكليفا. أما مَنْ يرى أن السورة نزلت بعد فتح مكة، يتبنى كون «إذا» بمعنى «قد»[(٢)]، وتكون السورة تذكيرًا وتكليفًا.

وفي الحالتين التكليف (بالتسبيح بحمد الله واستغفاره) متحقق، والإشارة إلى قرب انتهاء المهمة وضرورة الاستعداد للرحيل حاصلة.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٠)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٠)

قال ابن عاشور: «وَالْغَرَضُ مِنْهَا الْوَعْدُ بِنَصْرٍ كَامِلٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ أَوْ بِفَتْحِ مَكَّةَ، وَالْبِشَارَةُ بِدُخُولِ خَلَائِقَ كَثِيرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ... وَالْإِيمَاءُ إِلَى أَنَّهُ حِينَ يَقَعُ ذَلِكَ فَقَدِ اقْتَرَبَ انْتِقَالُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْآخِرَةِ»(١).

* ﴿جَآءَ﴾: أفادت تحقق النصر(٢)، وأوحت بأن النصر ليس صعبًا أو مستحيلًا، وبثت الأمل في النفوس اليائسة. كما توجه إلى أن النصر لا ينبغي أن يُزيَّف؛ فالنصر الحقيقي له علامات ومقاييس.

* ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: والنصر؛ الْعَوْنُ ... ثُمَّ قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَذَا النَّصْرِ نَصْرُ الرَّسُولِ عَلَى قُرَيْشٍ، وَقِيلَ: نَصَرَهُ عَلَى مَنْ قَاتَلَهُ مِنَ الْكُفَّارِ(٣).

لماذا قال «نصر الله» ولم يقل «النصر»؟:

١) **ليؤكد على** أن النصر من عند الله، فلا بد أن نتعلق به أولًا.

٢) **ليكون ذلك** أكثر عونا على التسبيح والتحميد والاستغفار وممهدا له، حين يستحضر العبد أن الله هو الذي نصر؛ فيستبرئ من الإعجاب بنفسه ونسبة الفضل إلى شخصه.

يقول سيد قطب: «فهو نصر الله يجيء به الله: في الوقت الذي يقدِّره، في الصورة التي يريدها، للغاية التي يرسمها. وليس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا لأصحابه من أمره شيء، وليس لهم في هذا النصر يد ... إنما هو أمر الله يحققه بهم أو بدونهم. وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم، وأن يقيمهم عليه حراسا، ويجعلهم عليه أمناء. هذا هو كل حظهم من النصر ومن الفتح ومن دخول الناس في دين الله أفواجا. وبناء على هذا

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٩).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٠).
(٣) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٢٩)، النكت والعيون (٦/ ٣٥٩).

الإيحاء وما ينشئه من تصور خاص لحقيقة الأمر يتحدد شأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه بإزاء تكريم الله لهم، وإكرامهم بتحقيق نصره على أيديهم. إن شأنه - ومن معه - هو الاتجاه إلى الله بالتسبيح وبالحمد والاستغفار في لحظة الانتصار»[(١)].

٣) **ليشير إلى** أن النصر لا يكون نصرًا إلا إذا أثمر حالًا أرضى لله؛ فهذا تنبيه على معيار من معايير النصر الكامل.

٤) **ليوجه أيضا إلى** الوجهة السديدة للرغبة في تحقيق النصر، وهي أن يكون ابتغاء مرضاة الله ولتكون كلمته هي العليا.

٥) **ليشير إلى** عظمة ذلك النصر وشرفه وكماله وتمامه.

قال ابن عاشور: «فَإِضَافَةُ نَصْرُ إِلَى اللهِ تُشْعِرُ بِتَعْظِيمِ هَذَا النَّصْرِ وَأَنَّهُ نَصْرٌ عَزِيزٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ»[(٢)]، وقال في أضواء البيان: «وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْإِضَافَةَ هُنَا لَهَا دَلَالَةُ تَمَامٍ وَكَمَالٍ ... فَهُوَ مُشْعِرٌ بِالنَّصْرِ كُلِّ النَّصْرِ، أَوْ بِتَمَامِ النَّصْرِ كُلِّهِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٣)].

۞ لماذا لم يتم تقييد النصر بشيء (كالحروب أو المناظرات أو غيرهما)؟:

وربما يشير إلى عدم تقييد النصر بشيء إلى أن نصر الله لعبده لا يكون في زاوية واحدة، لكنه يعم كل الزوايا، وأن العبد مطالب بالسعي في تحقيق كل صور ومظاهر نصرة الله والدين؛ وكل ذلك يزيد العبد يقينا في الله، وإقبالا وأملا في تحقيق النصر الكامل الذي يتمناه.

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩٦).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٠).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٣٨).

* ﴿ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾: والْفَتْحُ؛ امْتِلَاكُ بَلَدِ الْعَدُوِّ وَأَرْضِهِ[1]. وقد يشير إلى الفتح بالعلم أو الفهم أو الإنجاز[2].

أما الفتح المقصود هنا: فقد قيل: إنه عام لسائر البلدان، وقيل: إنه خاص؛ وقيل: إن ذلك الخاص «فتح مكة»، وهو القول الأشهر مطلقا، وقيل: «فتح القصور والمدائن»[3].

وَالتَّعْرِيفُ فِي «الْفَتْحِ» لِلْعَهْدِ ... وَقَدِ اتَّفَقَتْ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى أَنَّ الْفَتْحَ الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ هُوَ فَتْحُ مَكَّةَ إِلَّا رِوَايَةً عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ فَتْحُ الْمَدَائِنِ والقصور، يعنون الْحُصُونَ[4].

لماذا لم يتم الاقتصار على النصر فحسب؟:

١) **لأنه قد يحدث النصر ولا يحدث معه الفتح،** فالفتح زاد النصر تماما وكمالا.

٢) **وكلمة (الفتح)** تشير إلى أن النصر المنشود ليس توسعًا في اكتساب الأراضي والدروب، بل لا يكتمل النصر الذي يحبه الله إلا بالفتح الإيماني للنفوس والقلوب.

وكذلك كان «فتح مكة» اكتسابا للإنسان قبل البنيان، وحيازة للوجدان قبل العمران. فالصحابة الذين نافحوا عن الأصنام طيلة حياتهم، ها هم أولاء يكسرونها بأيديهم وأدواتهم، بعد أن تكسرت أولا نتيجة للفتح الإيماني

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٠).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٠)، النكت والعيون (٦/ ٣٦٠)، ويرى في أضواء البيان (٩/ ١٣٨) أن الفتح للعموم أيضا.

(٣) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٠).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩١).

الذي لامس قلوبهم. وأولئك الذين فروا منه زمانا طويلا بأجسادهم، إذا بهم اليوم يفرون إليه بقلوبهم قبل أجسادهم. لقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعي مفهوم النصر المنشود لذا وفقه الله لتحقيقه.

۞ لماذا لم يتم تقييد الفتح بشيء (كالحروب ونحوها)؟:

ربما أشار ذلك إلى أن الإنسان ينبغي أن يكون حريصا على الأخذ بكل الأسباب التي تفتح له أكبر قدر يستطيعه من أبواب الخير، وأن فتحه سبحانه لعباده يعم كل صور ومظاهر الفتح، فيزيد ذلك العبد يقينا في الله وأملا في تحقيق الفتح الكامل الذي يتمناه.

* ﴿وَرَأَيْتَ﴾: وَالرُّؤْيَةُ ... يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عِلْمِيَّةً، أَيْ وَعَلِمْتَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ... وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ رُؤْيَةً بَصَرِيَّةً بِأَنْ رَأَى أَفْوَاجَ وُفُودِ الْعَرَبِ يَرِدُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ[1].

وفيها تأكيدٌ على أن النصر لا يُزَيَّف ولا يُبنى على الأوهام، النصر «حقيقة لا خيال».

* ﴿ٱلنَّاسَ﴾: المراد بالناس العموم على قول الجمهور، وعن مقاتل: أنهم أهل اليمن[2].

وَالتَّعْرِيفُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلِاسْتِغْرَاقِ الْعُرْفِيِّ، أَيْ جَمِيعَ النَّاسِ الَّذِينَ يَخْطُرُونَ بِالْبَالِ ... فَالْمَعْنَى: وَرَأَيْتَ نَاسًا كَثِيرِينَ أَوْ وَرَأَيْتَ الْعَرَبَ[3].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٢)، الكشاف (٤/ ٨١١)، النكت والعيون (٦/ ٣٦١)، تفسير أبي السعود (٩/ ٢٠٨).

(٢) تفسير سورة النصر لابن رجب (ص٢٣).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٢).

فليس النصر اكتساب تأييد المحبين والمعارف والأصدقاء والأقارب، وإنما النصر انتشار الحق الذي تحمل بين جميع الناس لا سيما من يناصبونك العداء.

* ﴿يَدۡخُلُونَ﴾: اسْتُعِيرَت للتعبير عن «يُسلِمون».

۞ لماذا تم اختيار الفعل «يدخلون» ولم يأتِ غيره «يعتنقون» أو نحوه؟:

ربما ليشير أنه لا ينبغي أن نقنع بمن يتكلمون ويعلنون بألسنتهم؛ لا بُدَّ أن نتأكد من دخولهم في حظيرة الإسلام، كمن يدخل بيتا أو قصرا.

۞ لماذا جاء بناء الفعل على المضارعة ولم يأتِ بصيغة الماضي «دخلوا»؟:

١) **ربما لتشير إلى** أن النصر ليس تمكن الفكرة لدى الناس أو فتح البلدان فترة من الزمان ثم يعود الناس أدراجهم، بل النصر الحقيقي ذاك الذي يثمر زيادة مضطردة في المنضمين إليه والمنطوين تحت رايته، فالأصل أن يثمر النصر الحقيقي استمرار الازدهار والانتشار، وإن حدث خللٌ كان الانحدار والانحسار.

قال البقاعي: «﴿يَدۡخُلُونَ﴾ شيئًا فشيئًا متجددًا دخولهم مستمرًا»[(١)].

٢) **وربما أشارت إلى أنه** ليس كل من دخل الدين من هذه الأفواج قد تمكن الدين من قلبه تماما، فلربما دخل بعضهم في دين المنتصر رغبة فيما عنده؛ لذا ما ينبغي أن تقنع تماما وتطمئن مطلقا لأولئك الذين ينضمون إليك في حال الرخاء، لا بد أن تجتهد في ترسيخ البناء.

* ﴿فِي﴾: تؤكد على أنه ليس نصرا ذاك الذي يغير الظواهر ولا يغير الجواهر، بل النصر إصلاح المخبر والمظهر، وليس النصر انتصار الفكرة مبتورة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣١٦).

أو مكسورة، بل النصر «الدخول في السلم كافة» بالتلبس به والانضواء الكامل تحت كنفه.

* ﴿دِينِ﴾: تشير إلى أن النصر الحقيقي هو الذي يثمر إصلاح الدين ثم الدنيا، لا الدنيا فحسب.

ودور جهاد السيف والسنان التمهيد والتوطئة لجهاد الحجة والبيان، وفتح قلوب العباد، وتطهير البلاد. والنصر المنشود دينونة الناس وخضوعهم لما معك من الحق لذا عبَّر بـ«دين».

* ﴿ٱللَّهِ﴾: تشير إلى أن غاية النصر ووجهته أن «تكون كلمة الله هي العليا» وللتمكين لدين الله، لا للأشخاص أو الطوائف أو الجماعات. ومقياس النصر هو انصياع الناس للمنهج الذي ارتضاه الله للناس «دين»، وعبر بـ«اللهِ» ليؤكد أن تحقيق التوحيد – لا سيما توحيد الألوهية – هو مقياس عملية النصر الحقيقية.

* ﴿أَفۡوَاجٗا﴾: جَمْعُ فَوْجٍ وَهُوَ الجماعة الكثيرة إثر الجماعة[1].

تشير إلى أن من علامات النصر المنشود السليم، الإقبال الشديد عليه حال التمكين، ونصرٌ يفرز كل عام شخصًا أو شخصين نصر مُزيف يحتاج إلى إعادة تقييم؛ لأن من شأن الحق أن ينتشر، فإن لم يوجد أى تقصير ممن يحملون هَمَّ النصر تكون سنة الله قد اقتضت ذلك، ولا لوم، كما حصل مع خير خلق الله «بعض الأنبياء» من قلة الأتباع أو استخدامهم.

* ﴿فَسَبِّحۡ﴾: والفاء للسرعة والمبادرة.

وفي المراد بالتسبيح هنا قولان؛ أحدهما: أن المراد به الصلاة، **والثاني:**

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٥٣٢).

التسبيح المعروف[1].

والخطاب هنا للنبي ﷺ لا للأمة مباشرة، إشارة إلى أنه لا ينبغي أن ينسَ قادة النصر أنهم أول المخاطبين بواجبات ما بعد النصر ومكملاته، وهم أولى الناس بها.

وتنزيه الرب يكون عن النصر بلا أسباب أو المحاباة، أو الغفلة عن التقصير الحاصل، أو عن الرضى والحب لهزيمة أوليائه وما يصيبهم من الأذى، أو عن محبة أن يكون لأعدائه على أوليائه سبيل.

قال القاسمي: «فنزه ربك عن أن يهمل الحق ويدعه للباطل يأكله، وعن أن يخلف وعده في تأييده»[2].

۞ لماذا يؤمر النبي ﷺ بالتسبيح والتحميد والاستغفار، رغم أنه لم يكن مقصرا ألبتة فيهم؟:

يحتمل أن يكون المراد هنا «تَذْكِيرَهُ ﷺ بِتَسْبِيحٍ خَاصٍّ لَمْ يَحْصُلْ مِنْ قَبْلُ فِي تَسْبِيحَاتِهِ وَبِاسْتِغْفَارٍ خَاصٍّ لَمْ يَحْصُلْ مِنْ قَبْلُ فِي اسْتِغْفَارِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّسْبِيحُ الْمَأْمُورُ بِهِ تَسْبِيحَ ابْتِهَاجٍ وَتَعَجُّبٍ مِنْ تَيْسِيرِ اللهِ تَعَالَى لَهُ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالِ أَحَدٍ أَنْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَنَحْوَهُ يُسْتَعْمَلُ فِي التَّعَجُّبِ ... فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَخْلُو عَنْ تَسْبِيحِ اللهِ فَأُرِيدَ تَسْبِيحٌ يُقَارِنُ الْحَمْدَ عَلَى مَا أُعْطِيَهُ مِنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَدُخُولِ الْأُمَّةِ فِي الْإِسْلَامِ ... فَكَانَ تَعْلِيقُ الْأَمْرِ بِالتَّسْبِيحِ وَبِالِاسْتِغْفَارِ عَلَى حُصُولِ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ إِيمَاءً إِلَى تَسْبِيحٍ وَاسْتِغْفَارٍ يَحْصُلُ بِهِمَا تَقَرُّبٌ لَمْ يُنَوَ مِنْ قَبْلُ، وَهُوَ التَّهَيُّؤُ لِلِقَاءِ اللهِ، وَأَنَّ حَيَاتَه

(١) زاد المسير (٩/ ٢٥٦)، النكت والعيون (٦/ ٣٦١)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣١)، واستظهر القول الأول.

(٢) محاسن التأويل (٩/ ٥٦٠).

الدُّنْيَوِيَّة أَو شكت عَلَى الِانْتِهَاءِ»[١].

لماذا تقدم التسبيح والتحميد على الاستغفار؟:

١) **تَمْهِيدٌ لِإِجَابَةِ اسْتِغْفَارِهِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ** فِي تَقْدِيمِ الثَّنَاءِ قَبْلَ سُؤَالِ الْحَاجَةِ[٢].

٢) **التَّسْبِيحَ** رَاجِعٌ إِلَى وَصْفِ اللهِ تَعَالَى بِالتَّنَزُّهِ عَنِ النَّقْصِ وَهُوَ يَجْمَعُ (نفي) صِفَاتِ السَّلْبِ (كلها)، فَالتَّسْبِيحُ مُتَمَحِّضٌ لِجَانِبِ اللهِ تَعَالَى، وَلِأَنَّ الْحَمْدَ ثَنَاءٌ عَلَى اللهِ لِإِنْعَامِهِ، وَهُوَ أَدَاءُ الْعَبْدِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِشُكْرِ الْمُنْعِمِ فَهُوَ مُسْتَلْزِمٌ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ الَّتِي هِيَ مَنْشَأُ إِنْعَامِهِ عَلَى عَبْدِهِ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ جَانِبِ اللهِ وَحَظِّ الْعَبْدِ، وَأَمَّا الِاسْتِغْفَارُ فَهُوَ حَظٌّ لِلْعَبْدِ وَحْدَهُ لِأَنَّهُ طَلَبُهُ اللهَ أَنْ يَعْفُوَ عَمَّا يُؤَاخِذُهُ عَلَيْهِ[٣].

٣) **بما أن المقام مقام إنجاز وانتصار، فالأليق به البدء بالتسبيح لا البدء بالاستغفار،** وإلى هذا الملمح شيخ الإسلام قد أشار؛ فقد قال ابن القيم: «وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يومًا: سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنسًا فالصابون والماء الحار أنفع له. فقال لي رحمه الله تعالى: فكيف والثياب لا تزال دنسة؟»[٤]. حيث نجد شيخ الإسلام هنا يؤكد أن كل حال له ما يناسبه، فلما كان الحال هنا حال (الثوب النقي)، فالتسبيح أولى له من الاستغفار.

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٣)، روح المعاني (١٥/ ٤٩٥).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٤)، روح المعاني (١٥/ ٤٩٥).
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٤)، روح المعاني (١٥/ ٤٩٥).
(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٩٢).

* ﴿بِحَمْدِ﴾: وفي الباء في «بحمد» قولان:

- **أحدهما:** أنها للمصاحبة فالحمد مضاف إلى المفعول، أي فسبحه حامدًا له، والمعنى: أجمع بين تسبيحه وهو تنزيهه عما لا يليق به من النقائص، وبين تحميده وهو إثبات ما يليق به من المحامد.
- **والثاني:** أنها للاستعانة، أي: سبحه بما حمد به نفسه إذ ليس كل تسبيح بمحمود[1].

والتسبيح والحمد (يكونان) على ما أولاهم من منة، بأن جعلهم أمناء على دعوته حراسا لدينه. وعلى ما أولى البشرية كلها من رحمة بنصره لدينه، وفتحه على رسوله ودخول الناس أفواجا في هذا الخير الفائض العميم، بعد العمى والضلال والخسران[2].

ما سرّ المطالبة بالتحميد دون الشكر؟:

١) **فالشكر يكون في مقابل نعمة معلومة،** أما الحمد فلا يرتبط بالنعم، فالرب محمود دوما على كل الأحوال، وفي ذلك إشارة إلى أنه على العبد أن يحمد ربه سواء رأى آثار عون الله في النصر أم لم يرَ؛ لأن هناك ما لم يره العبد وما لم يعلمه وهو أكثر مما رآه وعلمه.

٢) **وفي الوصية بالحمد تأكيد على ضرورة التحدث بنعمة الله وإظهارها،** فالشكر قد يكون قوليًا أو عمليًا، لكن الحمد لا يكون إلا قوليًا. فيكفي ربنا فضلًا أنه ارتضانا للعمل لدينه وعبادته.

قال النووي: «وَقَوْلُهُ (وَبِحَمْدِكَ) أَيْ: وَبِحَمْدِكَ سَبَّحْتُكَ. **وَمَعْنَاهُ:** بِتَوْفِيقِكَ

(١) تفسير سورة النصر لابن رجب (ص٢٧).

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩٦).

لِي وَهِدَايَتِكَ وَفَضْلِكَ عَلَيَّ سَبَّحْتُكَ لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي. فَفِيهِ شُكْرُ اللهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَالِاعْتِرَافُ بِهَا، وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَأَنَّ كُلَّ الْأَفْعَالِ لَهُ»[1].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «وَيَظْهَرُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ إِبْقَاءُ مَعْنَى الْحَمْدِ عَلَى أَصْلِهِ وَتَكُونُ الْبَاءُ بَاءَ السَّبَبِيَّةِ وَيَكُونُ مَعْنَاهُ: بِسَبَبِ أَنَّكَ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ سَبَّحَكَ الْمُسَبِّحُونَ وَعَظَّمَكَ الْمُعَظِّمُونَ»[2].

* ﴿رَبِّكَ﴾: الذي خلقك ورزقك ويدبر أمرك ويرعاك ويعتني بك، والربوبية هنا (خاصة).

لماذا وصف الله نفسه هنا بالربوبية دون غيرها من الصفات؟:

ليتذكر العبد دومًا أن النصر إنعام من الله، ومظهر من مظاهر تربيته لعباده المؤمنين ورعايته لهم وعنايته بهم[3]. فمع مقاييس النصر ومعايير النصر كان الوصف بالألوهية؛ فقال تعالى: ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾، ومع واجبات ما بعد النصر كان الوصف بالربوبية؛ فقال تعالى: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، لأن النصر نعمة والربوبية ألصق بالنعم.

لماذا كان التعبير «بربك» ولم يكن «الرب»؟:

و«الكاف» في ﴿رَبِّكَ﴾ تُشْعِر العبد بالخصوصية والاصطفاء، وتبين أن الأمر يلزمه ولا يؤديه عنه غيره.

قال ابن عاشور: «فِي صِفَةِ (رَبِّ) وَإِضَافَتِهَا إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ مِنَ الْإِيمَاءِ

---

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٠٢).

(٢) نيل الأوطار (٢/ ٢٨٦)، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٣٩٩).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٤١).

إِلَى أَنَّ مِنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَدُخُولِ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ نِعْمَةً أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ إِذَا حَصَلَ هَذَا الْخَيْرُ الْجَلِيلُ بِوَاسِطَتِهِ فَذَلِكَ تَكْرِيمٌ لَهُ وَعِنَايَةٌ بِهِ وَهُوَ شَأْنُ تَلَطُّفِ الرَّبِّ بِالْمَرْبُوبِ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ السِّيَادَةُ الْمَرْفُوقَةُ بِالرِّفْقِ وَالْإِبْلَاغِ إِلَى الْكَمَالِ»[(١)].

* ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾: اطلب منه المغفرة، وهي ستر الذنوب والوقاية من شرورها. فلا ينبغي أن ينسى العبد في زحمة الفرح بفضل الله في النصر ذنوبه وتقصيره القديم، ولا ينبغي أن ينسى أي قصور عن بلوغ الكمال بَدَر منه أثناء مباشرة سعيه للنصر.

لماذا خاطب الله تعالى النبي ﷺ هنا ولم يخاطب جماهير المسلمين؟:

١) **قال البقاعي:** «لتقتدي بك أمتك في المواظبة على الأمان الثاني لهم، فإن الأمان الأول – الذي هو وجودك بين أظهرهم – قد دنا رجوعه إلى معدنه في الرفيق الأعلى»[(٢)].

٢) **قال الشوكاني:** «وَقِيلَ: إِنَّمَا أَمَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ تَنْبِيهًا لِأُمَّتِهِ وَتَعْرِيضًا بِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ هُمُ الْمَأْمُورُونَ بِالِاسْتِغْفَارِ. وَقِيلَ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ لِأُمَّتِهِ لَا لِذَنْبِهِ»[(٣)].

٣) **قال ابن الجوزي:** «فأُمِر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمره بالزيادة في العمل الصالح»[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٦).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣١٨).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٢٤).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٥٠١).

۞ لماذا جمع سبحانه بين التسبيح والاستغفار ولم يكتفِ بأحدهما؟:

قال الزمخشري: «والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين: من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لأمته»(١).

۞ لماذا وَصَّى الله بالاستغفار تحديدا بعد النصر والإنجاز؟:

١) **لأن الاستغفار** بعد الطاعات أحب إلى الله من الاستغفار بعد المعاصي والمنكرات.

٢) **لأن الاستغفار** يدفع العبد لمزيد من العمل، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾ [الشرح: ٧]، وفيه يُذَكِّره الله تعالى بأن هناك ديونًا لا بد أن يسددها.

٣) **لأن الاستغفار** يكسر النفس ويكون خطوة وقائية واحترازية في مواجهة العُجب والغرور الذي قد يُحبط العمل.

يقول القرطبي عن معنى ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُۚ﴾: «وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: كُنْ مُتَعَلِّقًا بِهِ، سَائِلًا رَاغِبًا، مُتَضَرِّعًا عَلَى رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَدَاءِ الْحُقُوقِ، لِئَلَّا يَنْقَطِعَ إِلَى رُؤْيَةِ الْأَعْمَالِ»(٢)، يقول في الظلال: «وهناك لطيفة أخرى للاستغفار لحظة الانتصار، ففيه إيحاء للنفس وإشعار في لحظة الزهو والفخر بأنها في موقف التقصير والعجز. فأولى أن تطامن من كبريائها، وتطلب العفو من ربها، وهذا يصد قوى الشعور بالزهو والغرور»(٣).

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٨١١).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٣).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩٦).

٤) **لأن الاستغفار** يمثل تخلصا وتوقيا «للزهو الذي قد يساور القلب أو يتدسس إليه من سكرة النصر بعد طول الكفاح، وفرحة الظفر بعد طول العناء، وهو مدخل يصعب توقيه في القلب البشري، فمن هذا يكون الاستغفار»[(١)].

٥) **لأن الاستغفار** «يضمن كذلك عدم الطغيان على المقهورين المغلوبين؛ ليرقب المنتصر الله فيهم، فهو الذي سلطه عليهم، وهو العاجز القاصر المقصر، وإنها سلطة الله عليهم تحقيقا لأمر يريده هو، والنصرُ نصْرُه، والفتح فَتْحُهُ، والدين دينه، وإلى الله تصير الأمور»[(٢)].

٦) **لأن الاستغفار** يمثل تخلصا وتوقيا «لما قد يكون ساور القلب أو تدسس إليه في فترة الكفاح الطويل والعناء القاسي، والشدة الطاغية والكرب الغامر، من ضيق بالشدة، واستبطاء لوعد الله بالنصر، وزلزلة»[(٣)]، قال القاسمي: «اسأله أن يغفر ما كان من القلق والضجر والحزن، لتأخر زمن النصر والفتح»[(٤)].

٧) **لأن الاستغفار** يعالج «التقصير في حمد الله وشكره، فجهد الإنسان مهما كان، ضعيف محدود، وآلاء الله دائمة الفيض والهملان»[(٥)].

٨) **لأن الاستغفار** يكمل النقص والتقصير الحاصل في الانتصار والإنجاز ويرأب صدعه.

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩٦).
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩٧).
(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩٦).
(٤) محاسن التأويل (٩/ ٥٦٠).
(٥) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩٦).

قال ابن رجب: «والاستغفار: هو خاتمة الأعمال الصالحة؛ فلهذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعله خاتمة عمره ... وسبب هذا أن العباد مقصرون عن القيام بحقوق الله كما ينبغي، وأدائها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، وإنما يؤدونها على قدر ما يطيقونه، فالعارف يعرف أن قدر الحق أعلى وأجلّ من ذلك، فهو يستحي من علمه ويستغفر من تقصيره فيه كما يستغفر غيره من ذنوبه وغفلاته، وكلما كان الشخص بالله أعرف كان له أخوف، وبرؤية تقصيره أبصر»[(١)].

* ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾: التواب صيغة مبالغة للدلالة على كثرة قبوله سبحانه للتوبة وعونه وحبه لأربابها.

وفي الجملة أَرْبَعُ مُؤَكِّدَاتٍ هِيَ: (إِنَّ «والضمير»، وَكَانَ، وَصِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّوَّابِ، وَتَنْوِينُ التَّعْظِيمِ فِيهِ)[(٢)]؛ لتبث البشرى والتفاؤل في نفس المستغفر؛ فتزيده إقبالا على الاستغفار.

إنها تفتح أبواب الأمل أمام من غفل عن واجبات ما بعد النصر، أو غفل عن مقاييس ومعايير النصر المنشود، أو أهمل وجهة النصر وغايته.

إنها دعوة مُبَشِّرَة للمبادرة بإصلاح الخلل وتسديد المسار، وتجديد التوبة والانكسار، قال ابن عطية: «وقوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ يعقب ترجية عظيمة للمستغفرين»[(٣)].

قال ابن عاشور: «أَفَادَتِ الْجُمْلَةُ إِشَارَةً إِلَى وَعْدٍ بِحُسْنِ الْقَبُولِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى حِينَمَا يَقْدُمُ عَلَى الْعَالَمِ الْقُدْسِيِّ ... لِأَنَّ مَنْ عُرِفَ بِكَثْرَةِ قَبُولِ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ شَأْنُهُ

(١) تفسير سورة النصر لابن رجب (ص٣٤،٣٢).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٦).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٥٣٣).

أَنْ يُكْرِمَ وِفَادَةَ الْوَافِدِينَ الَّذِينَ سَعَوْا جُهُودَهُمْ فِي مَرْضَاتِهِ بِمُنْتَهَى الِاسْتِطَاعَةِ»[1].

وَفِعْلُ كانَ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ فِي لَازِمِ مَعْنَى الِاتِّصَافِ بِالْوَصْفِ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي. وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ ذَاتِيٌّ لَهُ لَا يَتَخَلَّفُ مَعْمُولُهُ عَنْ عِبَادِهِ[2].

لماذا جاء «توابا» ولم يأت «غفَّارا»؟:

قال ابن عاشور: «عُدِلَ عَنْ ذَلِكَ تَلَطُّفًا مَعَ النَّبِيءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ أَمْرَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ لَيْسَ مُقْتَضِيًا إِثْبَاتَ ذَنْبٍ ... (لأن) وصف (تواب) جَاءَ مِنْ تَابَ عَلَيْهِ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى وَفَّقَهُ لِلتَّوْبَةِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ أَمْرَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ إِرْشَادٌ إِلَى مَقَامِ التَّأَدُّبِ مَعَ اللهِ تَعَالَى»[3].

«فالتواب» فيه مزيد ترغيب وتبشير وتحفيز؛ فالمنتصر ربما لا يكون متحفزا للاستغفار؛ لأنه في حالة إحسان لا إساءة في الغالب، أو يكون مستبعدا لأن يغفر الله له تقصيره؛ وفي كلتا الحالتين كان الوعد بشكر عمله القليل «الاستغفار»، بما هو أعظم من الأجر الجزيل «التوبة».

وفي ذلك الإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يكون عدم تذكر الإنسان لذنب فعله وهو في رحلته لتحقيق النصر مانعا له من الاستغفار وطلب التوبة؛ فربما أذنب العبد وهو لا يشعر، والاستغفار بعد الطاعة أحب إلى الله من الاستغفار بعد المعصية، فالأمر أشبه بتأمين العبد لنفسه وأخذه بالاحتياط ليبقى دوما نقيا من الخطايا والذنوب.

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٧).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٩٧).

الفرع الثاني

الحق السادس (استخراج الوصايا العملية)

الوصية الرئيسية (ما هو أبرز ما ينبغي عليّ فعله؟):

أن أبادر بالقيام بواجبات ما بعد النصر (التسبيح «ذكر وصلاة»، التحميد، الاستغفار والتوبة، الاستعداد للموت والعمل للآخرة).

فالسورة بالأساس تتحدث عن المبادرة بالقيام بواجبات ما بعد النصر، وإن كانت تشير إلى أمور أخرى متعلقة بالنصر، ﴿فَسَبِّحْ﴾ والفاء للتعقيب والسرعة، وتلك الواجبات تنقسم إلى منطوقة (الإكثار من التسبيح والتحميد والاستغفار)، ومفهومة (الاستعداد للموت وزيادة العمل للآخرة).

ومما يؤيد ما سبق أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جعل القيام بواجبات ما بعد النصر وصيته الرئيسية، فيما يتعلق بهذه السورة، فقد قال: «**فَأَمَرَنِي ... أَنْ أُسَبِّحَهُ، وَأَحْمَدَهُ، وَأَسْتَغْفِرَهُ**»(١)، وقال: «**نُعيتْ إليّ نفسي**»، بأنه مقبوض في تلك السنة(٢)، وأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ(٣).

بل لقد فهم الصحابة أن القيام بواجبات ما بعد النصر، هو الوصية الرئيسية لهذه السورة، فقال أشياخ بدر: «أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا»(٤)، وقال ابن عباس ووافقه عمر: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ

---

(١) صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٢٣) وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٢) مسند أحمد (٢/ ٤٣٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٣) السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٤٩)، المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣٢٨)، المطالب العالية لابن حجر (١٢/ ٢٨٨)، الأحاديث المختارة للمقدسي (١٢/ ٢٩١)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣/ ١٧٢): «أما حديث هلال بن خباب؛ فحسن الإسناد».

(٤) صحيح البخاري (٥/ ١٤٩).

اللهُ لَهُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: ١] فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ٣]»[1].

الوصايا الأخرى:

للآية الأولى:

* أن أنسب الفضل دومًا إلى الله في تحقيق النصر والفتح والنجاح ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾.
* أن أعتبر النصر دومًا هو الانتقال إلى حال أرضى لله ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾.
* أن أعمل على فتح القلوب أولًا قبل فتح الدروب ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾.

للآية الثانية:

* ألا أخدع نفسي أو غيري بادعاء نصر غير حقيقي ﴿وَرَأَيۡتَ﴾.

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٤٩).

* أن أجتهد في أن يكون انتصاري نجاحًا شاملًا، يحقق نفعًا عامًّا ﴿ٱلنَّاسَ﴾.
* أن أعمل على الحفاظ على استمرارية النصر والنجاح ﴿يَدۡخُلُونَ﴾.
* أن ألتزم حال سعيي لتحقيق النصر وبعده بشرع الله ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾.
* أن يكون هدفي من الانتصار خدمة ديني لا خدمة نفسي، وانتصار منهج ربي لا منهجي الشخصي ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾.
* أن أزيد معدل الشكر والانكسار والتسبيح والاستغفار كلما زاد معدل الإنجاز والانتصار ﴿أَفۡوَاجٗا﴾.

■ **للآية الثالثة:**

* أن أبادر إلى الشكر والانكسار والتسبيح والاستغفار عقب كل انتصار «فَ».
* أن أعمل على ألا تشغلني الفرحة بالانتصار عن ربي الذي تفضل عليّ بالنصر ﴿رَبِّكَ﴾.
* أن أتحدث بنعمة الله عليّ بالنصر وأنسب الفضل إليه أمام الغير ﴿بِحَمۡدِ﴾.
* أن أجدد لله التوبة عقب كل انتصار؛ لأنني ربما أكون قد قصرت في واجبات ما بعد الانتصار في أمور كثيرة وأنا لا أشعر ﴿تَوَّابٗا﴾.
* أن أستعد للموت وأعمل له، فقد يكون ذلك هو التمام الذي يعقبه نقصان.

الفرع الثالث

الحق السابع التدبر «التفكر في الحال والمآل»

(نتخير أهم وصايا السورة وهي «أن أبادر بالقيام بواجبات ما بعد النصر» ونتدبرها)

الدائرة الأولى: الإسقاط والتقييم (التفكر في الحال):

- **أين أنت** مما أوصت به السورة؟ ما مدى تطبيقك له؟ ما مدى حاجتك إليه؟
- **هل كنت تحصر الانتصارات والفتوحات** التي تتناولها السورة في الحروب فحسب، أم كنت تدرك أنها تشمل كل إنجاز في الحياة، حتى إنه قد يكون تعلم أمر أو آداءً لصلاة؟
- **كم مرة** أنجزت أمرا فزادك إعجابا وكبرا؟!!
- **هل كل إنجاز أو انتصار تحققه يزيدك انكسارا لله**، أم يعقبه إعجاب بنفسك؟
- **كم مرة** أنجز الله لك أمرا أو نصرك نصرا فاجتهدت في التحديث عن فضله لا عن نفسك؟
- **هل كل إنجاز أو انتصار يذكرك بالموت** ويزيدك اجتهادا للآخرة؟
- **هل إنجازاتك وانتصاراتك** تنتشر أم تنحسر؟
- **كم مرة** أردت إنجاز أمر ثم لم يتحقق، أما فكرت أن السبب ربما كان عدم مراعاتك لما أرشد الله إليه في هذه السورة؟
- **كم مرة** أنجزت أمرا ثم انحسر، بل اندثر؟! أما فكرت أن السبب ربما كان عدم مراعاتك لواجبات ما بعد النصر والإنجاز التي أرشد الله إليها في هذه السورة؟

* **كم مرة** انشغلت بالنصر عن النصير، وبالفتح عن الفتاح، وبالإنجاز عمن أنجز لك؟
* **تلك الإنجازات والانتصارات** التي امتن الله بها عليك، هل قمت بواجبات ما بعدها؟
* **ما هي** مساحة التسبيح والتحميد والاستغفار في حياتك؟
* **ما هو** قدر عنايتك بتجويد عبادات التسبيح والتحميد والاستغفار؟
* **هل كل إنجازات تكون لله،** ولرفعة دين الله؟
* **هل تراعي** فيما تنشده من إنجازات أن تتوفر فيه المعايير والمقاييس الشرعية للنصر؟
* **كم مرة** استولى على قلبك اليأس من الإنجاز أو الانتصار؟!
* **كم مرة** أوهمت نفسك بأنك أنجزت أو انتصرت ولم تكن كذلك؟!
* **كم مرة** كان الفتح المادي لك على حساب الفتح القلبي، فربحت بنيانا وخسرت إنسانا؟
* **نحتاج إلى أن نتفكر في حالنا، ونفسح المجال لهذه السورة لتقرأنا؛** فتفتشنا وتفاتشنا، وتكشفنا وتكاشفنا، وتوقفنا على حقيقة حالنا؛ ونتعرف – من خلالها – على وضعنا الحالي؛ لندرك – على الحقيقة – أين نحن مما أوصت به؟
* **نحتاج إلى أن نَزِن حالنا بحال النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونُقَيِّم أنفسنا في ضوء هذين المعيارين:

الأول: (الحاجات)؛ هل نحن أحوج لما أوصت به سورة النصر أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

الثاني: (الحواجز)؛ هل لدينا من الشواغل والصوارف والهموم أكثر مما كان لدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

لا شك أننا أحوج لاتباع ما جاءت به سورة النصر؛ فنحن مقصرون غافلون، وشواغلنا – ولا شك – أقل من شواغل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورغم ذلك ما فَرَّط صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أوصاه الله به في هذه السورة رغم أنه كان على حال كاملة، بل اجتهد أن يزداد كمالا إلى كماله.

* **نحتاج إلى أن نعرض أنفسنا على هذه السورة**، ونعتبرها كالمرآة التي سنرى فيها مواطن الخلل التي لدينا، فنتعرف على الحالة الموجودة التي نحن عليها، والحالة المنشودة التي ينبغي أن نكون عليها.
* **فآمل أن تصنف نفسك**، فيما يتعلق بحجم استجابتك لما أوصى به الله في سورة النصر؛ لتحدد مشكلتك، وتعرف موقعك؛ وتتمكن من الوصول إلى الوجهة التي تريد.

۞ الدائرة الثانية: التفكر في العواقب (الثمرات والمغبات «المآل»):

وذلك التفكر القلبي المنشود لا يكفي فيه مجرد معرفة العواقب، بل يكون بتحديد العواقب، ثم شهودها بالقلب ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ فيتصور الإنسان كأن هذه العاقبة قد حَقَّت ووقعت، وهو ينظر إليها بعين قلبه بل ويعايشها كأنه فيها الآن؛ إنها نقلة قلب لحالة مستقبلية، واستحضار للحالة الشعورية التي سيكون عليها حينها؛ ليدرك العواقب والمآلات من الآن كأنما ينظر إليها بعين قلبه؛ فيتأثر قلبه ويتحرك رغبة أو رهبة؛ ويشعر بأهمية الوصية ويزداد إقباله عليها.

فمثلا: يحدد ما هي عاقبة الحرص على أداء النوافل؟ فيعرف أن منها (الفوز بمحبة الله)، فلا يكتفِ بالمعرفة فقط؛ لأنها لا تكفي في تحفيزه وزيادة دافعيته

وإقباله على النوافل ليأتي بها أكمل ما تكون، بل يبدأ تفكره القلبي بشهود تلك العاقبة، فيتصور نفسه كأن قد فاز الآن بمحبة الله له، ويعايش تلك الحالة كأنه فيها الآن، ويستحضر الحالة الشعورية التي سيكون عليها، كأنما ينظر بعين قلبه الآن إلى تلك العواقب الحسنة لمحبة الله له، فيجد من التأثر القلبي ما يزيده رغبة في الحرص على النوافل، ويشعره بأهميتها ويزيده إقبالا عليها.

فلو نجح الإنسان في التذكر (القلبي) يكون إن شاء الله قد نجح في التدبر، قال ربنا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، والطريق لحصول التذكر قد وصفه ربنا حين قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

والتذكر ينعقد لمن تولدت لديه الخشية أو الرهبة، والتدبر هو الذي يحرك القلب رغبةً بالتفكر في الثمرات، ورهبةً بالتفكر في المغبات؛ قال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: ٨ - ١٠].

ولا عجب لأن المرء إذا اجتهد في التدبر يتذكر، ويجد الأمر بداخله قد تيسر، قال ربنا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥ - ٧].

فالتدبر إنما يهدف إلى تحريك القلب، وزيادة الدافعية للاتباع؛ فقد ذكر الله عن المنافقين أنهم قد شق عليهم اتباع ما أوصى الله به في سورة محكمة من القتال في سبيل الله؛ رغم أنهم قد فهموا ما ينبغي عليهم فعله، ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ [محمد: ٢٠]. ثم ذكر أن السبب في ذلك وغيره من سلوكياتهم الفاسدة وضعف دافعيتهم واستثقالهم للطاعة، وهو أنهم لا يتدبرون القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وقال الله تعالى لبعض خلقه: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المؤمنون: ٦٦، ٦٧]، ثم ذكر سبب ذلك الخلل في الاتباع وكمال الانتفاع، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، فلو تدبروا، لتذكروا، وتطهروا.

❁ من ثمرات «المبادرة بالقيام بواجبات ما بعد النصر»:

■ ١. إكمال النقص الحاصل في ذلك الإنجاز أو الانتصار وسدد الخلل المتعلق به:

فربما كان في الإنجاز تقصيرا أو نقصا من شأنه أن يحد أو يوقف مَدّ الإنجاز أو الانتصار، لكن ذلك يتبدد بالانكسار الناشئ عن التسبيح والتحميد والاستغفار.

فالنوافل تجبر النقص الحاصل في الفرائض، وقد شرع الله الانكسار، بالذكر والاستغفار، عقب العبادات الكبرى لوقايتها من الآفات والأخطار. ومن ذلك أن أول ما نقوله بعد الصلاة «أستغفر الله» ويعقبها تسبيحات وتحميدات وتكبيرات وتهليلات ودعوات.

■ ٢. المزيد من الانتصار والإنجاز ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾:

فقد قال الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]، فما يَمُن الله به عليك من إنجاز أو فتح أو انتصار، بشكره تحصل الزيادة والانتشار، وبكفره والتفريط في شكره يحدث الانحسار، بل ربما تلاه الاندثار.

وتأمل حال ذلك الذي لم يقم بواجبات ما بعد الإنعام والانتصار، بل أعقبه بالكفران والعناد والإصرار، ثم طمع في الزيادة والانتشار، يقول سبحانه عنه: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: ١٥ - ١٧].

لكن الله قد زاد فضله وفاض أجره، على أولئك الذين أنجز لهم وفتح عليهم بنعمة القرآن، فقاموا بواجبات ما بعد هذا الإنجاز والإنعام، قال سبحانه يمدحهم ويبشرهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

■ ٣. الدخول في زمرة المسبحين وما أعده الله لهم:

- **التسبيح سبب في تفريج الكروب:**

❋ **قال تعالى عن يونس** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

- **التسبيح طريق لتحصيل الرضا والسعادة:**

❋ **قال تعالى:** ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]

- **كل تسبيحة بعشر أو عشرين حسنة، وتحط عشر أو عشرين سيئة:**

❋ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَقَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، تُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»(١).

* وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً ...»(٢).

- **كل تسبيحة تمثل فرصة عتق من النيران، وتتسبب في أجر عتق رقبة:**

* عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَرَّ بِي ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ وَبَدُنْتُ، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ، قَالَ: «سَبِّحِي اللهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ رَقَبَةٍ تُعْتِقِينَهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ...»(٣).

٤. الدخول في زمرة الحامدين الشاكرين وما أعده الله لهم:

فلقد وَصَّى الله بالشكر بعد النعمة والإنجاز، فقال: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

---

(١) صحيح مسلم (٣٧/ ٢٦٩٨)

(٢) رواه أحمد (٨٠٧٩)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (١٧١٨)

(٣) رواه أحمد (٢٦٩٥٦)، انظر الصَّحِيحَة (١٣١٦)

- **بَشَّر الله الشاكرين بالجزاء الجزيل:**

* **قال تعالى:** ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

- **وَعَدَ الله الشاكرين بقبول الصالحات، والتجاوز عن السيئات، وسكنى الجنات:**

* **فقال تعالى عنهم:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف: ١٦].

- **والشكر سبب للنجاة من العقوبة والعذاب:**

* **قال تعالى:** ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر: ٣٤، ٣٥].

- **«الحمد لله» هي أفضل الدعاء والشكر:**

* **وَعَنْ جابر بْن عَبْد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ للهِ»، وفي رواية: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الشُّكْرِ: الْحَمْدُ للهِ»(١).

- **التحميد سبب في امتلاء الميزان بالحسنات:**

* **عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالْحَمْدُ للهِ، تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»(٢).

- **وكل تحميدة تعدل أجر تجهيز فرس أكمل تجهيز والجهاد عليه في سبيل الله:**

* **وَعَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَرَّ بِي ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ وَبَدُنْتُ،

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٣)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (١١٠٤)، الصَّحِيحَة (١٤٩٧).
(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٢٣)، سنن ابن ماجه (٣٥١٧).

فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ، قَالَ: «... وَاحْمَدِي اللهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ...»[1].

- **وكل تحميدة تستجلب ثلاثين حسنة، وتحط ثلاثين سيئة:**

* **وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»[2].

بعض ما تقدمه لنا (سبحان الله وبحمده):

- **الفوز بمحبة الرحمن، وتثقيل الميزان (أحب الكلام إلى الله):**

* **وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»[3].
* **وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَاهُ لِمَلَائِكَتِهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، ثَلَاثًا تَقُولُهَا»[4].
* **وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[5].

---

(١) رواه أحمد (٢٦٩٥٦)، وهو في السنن الكبري للنسائي(٩/ ٣١١)، انظر: الصَّحِيحَة (١٣١٦).

(٢) رواه أحمد (٨٠٧٩)، وصححه الأرناؤوط، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (١٧١٨).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (٣١/ ٢٦٩٤).

(٤) صحيح مسلم (٨٤/ ٢٧٣١).

(٥) السنن الكبرى للنسائي (١٠٦٨٥)، انظر: الصَّحِيحَة (٢٥٩٨).

- **جبران وتعويض النقصان الحاصل في أمهات العبادات:**

* وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ هَالَهُ اللَّيْلُ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُقَاتِلَهُ، فَلْيُكْثِرْ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ جَبَلِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ يُنْفَقَانِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(١).

- **غراسٌ يستجلب لنا غراس نخل في الجنة:**

* وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»، وفي رواية: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»(٢).

- **حَطُّ الخطايا وغفرانها:**

* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٣).

- **خاتم يستجلب لنا القبول، ويستنزل لنا المغفرة:**

* وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ، كَانَتْ كَالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ، كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ»(٤).

---

(١) رواه الطبراني (٨/ ١٩٤)، وصححه الألباني في صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (١٥٤١).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٤)، والبزار (٢٤٦٨)، وصححه الألباني في صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (١٥٣٩، ١٥٤٠).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٠٤٢)، مسلم (٢٨/ ٢٦٩١).

(٤) السنن الكبري للنسائي (٩/ ١٦٢)، والدعاء للطبراني (١/ ٥٣٧) والمعجم الكبير (٢/ ١٣٨)، والمستدرك علي الصحيحين للحاكم (١/ ٧٢٠)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٦٤٣٠)، الصَّحِيحَة (٨١).

- **مفتاح الخير والرزق والبركة:**

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لابْنِه: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ»[(١)].

■ **بعض ما تقدمه لنا «سبحان الله والحمد لله» معا:**

- **برهان إجلال لله، ومعراجٌ للفوز بذكر الله لنا دوما برضوانه ورحمته:**

* عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ، مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ؟»[(٢)].

- **طريق سهل للفوز بمحبة الله لنا وما يترتب عليها من خير:**

* عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٦٥٨٣)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٠٩)، انظر: الصَّحِيحَة (٣٣٥٨).

(٣) صحيح مسلم (١٢/ ٢١٣٧)

- **فضل وأجر، وخير وبر، أفضل من الدنيا وما فيها:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»(١).

- **غراس يغرس الله لنا به شجرا في الجنة:**

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(٢).

* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟»، قُلْتُ: غِرَاسًا لِي، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا؟»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ»(٣).

- **امتلاء ميزان الحسنات بما يعادل مساحة وحجم السماوات والأرض وما بينهما:**

* عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، وفي رواية: «وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، يَمْلَأُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٣٢/ ٢٦٩٥)

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٢)، وأحمد (٢٣٥٩٨)، انظر: الصَّحِيحَة (١٠٥).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٠٧)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٢٦١٣).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٢٢٣)، سنن ابن ماجه (٣٥١٧).

* وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَخٍ بَخٍ خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ، يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»(١).

● **الوقاية والستر من النار:**

* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنَ النَّارِ»، قُلْنَا: مَا جُنَّتُنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدِّمَاتٍ، وَمُعَقِّبَاتٍ، وَمُجَنِّبَاتٍ، وَهُنَّ (وفي رواية: مِنَ) الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»(٢).

● **تكفير الخطايا والسيئات:**

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الْوَرَقِ، فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ فَتَنَاثَرَ الْوَرَقُ، فَقَالَ: إِنَّ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(٣).

* وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، كُفِّرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٤).

---

(١) رواه أحمد (١٥٧٠٠، ١٨١٠١)، وابن حبان (٨٣٣)، انظر: الصَّحِيحَة (١٢٠٤).

(٢) السنن الكبرى للنسائي (١٠٦٨٤)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٣٢١٤)، الصَّحِيحَة (٣٢٦٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٣٣)، وأحمد (١٢٥٥٦)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (١٦٠١).

(٤) رواه أحمد (٦٩٥٩) إسناده حسن، لكن اختلف في رفعه ووقفه، والوقف أصح، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٥٦٣٦).

■ **٥. الدخول في زمرة المستغفرين والتائبين وما أعده الله لهم:**

* **فقد دعا الله تعالى عباده إلى الاستغفار، وَرَغَّبَهم فيه،** وَوَعَدَهم بأن يغفر لهم مغفرة لا تخطر لهم على بال؛ فعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله: يا ابن آدم، إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أُبالي! يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عَنان (سحاب) السماء ثمَّ اسْتغفرتني غفرت لك ولا أُبالي! يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب (ما يقارب ملأها) الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا؛ لأتيتك بقرابها مغفرةً!**»(١).

* **وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال إبليسُ: وعَزَّتك لا أبرح أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال: وعِزَّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما اسْتغفروني**»(٢).

وليس هذا فحسب، بل إن سبحانه قد طَالَبَنَا بالمسابقة والمسارعة في الاستغفار، فقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

● **الفوز بالمغفرة خير من الدنيا وما فيها:**

* قال تعالى: ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

● **بَشَّرَ اللهُ المستغفرين بجنات تجري من تحتها الأنهار:**

* **فقد قال الله عن المستغفرين:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٣١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣١)، وهو في سنن الترمذي (٥/ ٥٤٨)، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٠).

(٢) رواه أحمد (١٧/ ٣٣٧) وحسنه الأرناؤط، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٠)، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٠).

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦].

- **ووعد الله المستغفرين بالعيش الطيب في الدنيا والآخرة:**

* **ففي الحديث:** «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»(١). وَعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسُرَّهُ صَحِيفَتُهُ، فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ»(٢).

- **الاستغفار يستجلب صنوفا من خيرات وبركات السماء والأرض:**

* **فقال تعالى:** ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠- ١٢].

- **الاستغفار يزيد قوة الإنسان:**

* **قال تعالى:** ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ [هود: ٥٢].

- **الاستغفار يُنَقِّي القلب ويُقَوِّيه، ويحميه من الران:**

* **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»(٣).

* (نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ) وَالنُّكْتَةُ: أَثَرٌ قَلِيلٌ كالنُّقْطة، شبْه الوسَخ فِي المِرآة والسَّيفِ،

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٥٤)، الدعاء للطبراني (١/ ٥٠٦)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (٣٩٣٠).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٢/ ١٥٢)، والطبراني في الدعاء (١/ ٥٠٦)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٥٩٥٥)، الصَّحِيحَة (٢٢٩٩).

(٣) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وانظر: صَحِيح الْجَامِع (١٦٧٠).

ونحوِهما، مِنَ النكْتِ وهو في الأصل أن تضرب في الأرض بقضيب فيؤثر فيها[١]. وشَبَّه تأثر النفس باقتراف الذنوب بالنكتة السوداء من حيث إنهما يضادان الجلاء والصفاء[٢].

* **(صُقِل قلبه) أي:** صقلت الملائكة قلبه وأذهبت ما فيه من الأثر[٣]. وصَقَلَه جَلَّاه ... والمعنى نَظُفَ وَصَفِيَ مِرْآةُ قَلْبِهِ، لِأَنَّ التَّوْبَةَ بِمَنْزِلَةِ الْمِصْقَلَةِ تَمْحُو وَسَخَ الْقَلْبِ وَسَوَادَهُ حَقِيقِيًّا أَوْ تَمْثِيلِيًّا[٤]. وَالْحَمْلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْلَى مِنْ جَعْلِهِ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ حَيْثُ قِيلَ: شَبَّهَ الْقَلْبَ بِثَوْبٍ فِي غَايَةِ النَّقَاءِ وَالْبَيَاضِ، وَالْمَعْصِيَةَ بِشَيْءٍ فِي غَايَةِ السَّوَادِ أَصَابَ ذَلِكَ الْأَبْيَضَ، فَبِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ يَذْهَبُ ذَلِكَ الْجَمَالُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ إِذَا أَصَابَ الْمَعْصِيَةَ صَارَ كَأَنَّهُ حَصَلَ ذَلِكَ السَّوَادُ فِي ذَلِكَ الْبَيَاضِ[٥].

* **(وَإِنْ زَادَ) أَيْ:** فِي الذَّنْبِ أَيْ: بِعَيْنِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ (زَادَتْ) أَيِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ أَوْ يَظْهَرُ لِكُلِّ ذَنْبٍ نُكْتَةٍ (حَتَّى تَعْلُوَ) أَيِ: النُّكَتُ (قَلْبَهُ) أَيْ: تُطْفِئُ نُورَ قَلْبِهِ فَتُعْمِي بَصِيرَتَهُ، فَلَا يُبْصِرُ شَيْئًا مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْحِكَمِ الرَّائِعَةِ، وَتَزُولُ عَنْهُ الشَّفَقَةُ وَالرَّحْمَةُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى سَائِرِ الْأُمَّةِ، وَيَثْبُتُ فِي قَلْبِهِ آثَارُ الظُّلْمَةِ وَالْفِتْنَةِ وَالْجَرَاءَةِ عَلَى الْأَذِيَّةِ وَالْمَعْصِيَةِ[٦].

- **الاستغفار أمان من العذاب والمخاطر، وتعويض للخسائر:**

* **فقال تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١٤)، مرعاة المفاتيح (٨/ ٤٢).
(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٨٤٨)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٢٢).
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ٥١٠).
(٤) مرعاة المفاتيح (٨/ ٤٢).
(٥) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٢٢).
(٦) شرح المصابيح لابن الملك (٣/ ١٤٥)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٢٢).

* وَعَنْ أَبِي يَسَارٍ زَيْدٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»، وفي رواية: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ»(١).

● **وبلغ من بركة الاستغفار أن الاستغفار للغير باب عظيم من أبواب الحسنات الهائلة:**

* عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً»(٢).

■ **٦. زيادة الإقبال على الطاعة والخير ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧﴾:**

حيث يتحرر الإنسان من إعجابه بنفسه الذي يقعده ويحرمه التوفيق، ويدرك العبد أنه حتى وإن أحسن فلا زال مدينا وبحاجة إلى الإحسان، فيفرغ من طاعة وينصب في أخرى.

وبذلك يكون المسلم أكثر الناس استفادة من الإنجاز؛ فيضيف إلى إنجازه إنجازات أخرى بتعبده وقيامه بواجبات ما بعد النصر، وبذلك يضيف إلى مكاسب النصر مكاسب عبادات آخرى، كالتوبة والشكر والاستغفار وتزكية النفس، ثم يترتب على ذلك أن يكرمه الله بإنجاز آخر.

■ **٧. القرب من الرب والتعلق به:**

فالقيام بواجبات ما بعد النصر والإنجاز يزيد العبد لربه حبا ومنه قربا، قال

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٧)، وأبو داود (١٥١٧)، والحاكم (٢٥٥٠)، انظر: الصَّحِيحَة (٢٧٢٧).

(٢) مسند الشاميين للطبراني (٢١٥٥)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٦٠٢٦).

تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٢].

■ **٨. التفاؤل والأمل:**

فالإنجازات والانتصارات ترفع همته وتزيد من عزيمته وتشجعه على مواصلة الإنجاز والتحرر من أسر العجز والكسل والابتزاز.

● **من مغبات التقصير في «تحقيق النصر الكامل»:**

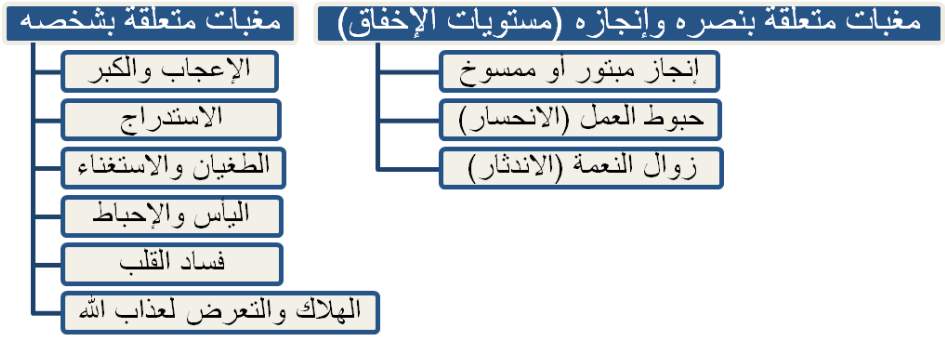

١. **الإعجاب بالنفس والكبر (الاغترار والافتخار):** فمن أخطر ما يهدد الإنسان بعد الإنجاز هو الإعجاب بنفسه؛ لأنه يهلك العبد، ويوقفه عن مواصلة الإنجاز، وفي الحديث: «**فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**»(١).

٢. **الاستدراج:** فلما غفل عن أداء واجبات ما بعد النصر، يفتح الله له استدراجا، ولا يزال الله يملي له حتى إذا أخذه لم يفلته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا

(١) الزهد لأبي داود (١/ ١٠١)، جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦٨)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٣٠٣٩)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٥٣).

﴿ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

عَنْ حُمَيْضَةَ بِنْتِ يَاسِرٍ، عَنْ جَدَّتِهَا يُسَيْرَةَ - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ - قَالَتْ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ عَلَيْكُنَّ بِالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّقْدِيسِ (أَيْ: قَوْلِ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ أَوْ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ) وَلَا تَغْفُلْنَ (أي: عن الذكر) فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ، مُسْتَنْطَقَاتٌ»(١).

قَالَ الْقَارِي: «وَالْمُرَادُ بِنِسْيَانِ الرَّحْمَةِ نِسْيَانُ أَسْبَابِهَا، أَيْ: لَا تَتْرُكْنَ الذِّكْرَ، فَإِنَّكُنَّ لَوْ تَرَكْتُنَّ الذِّكْرَ لَحُرِمْتُنَّ ثَوَابَهُ فَكَأَنَّكُنَّ تَرَكْتُنَّ الرَّحْمَةَ. قَالَ تَعَالَى ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ [البقرة: ١٥٢] أَيْ بِالطَّاعَةِ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] أَيْ بِالرَّحْمَةِ»(٢).

٣. **الطغيان والاستغناء عن الله:** قال الله: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٨ - ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧].

٤. **الإصابة بالإحباط واليأس:** من جراء تكرار الإخفاق؛ لأن النصر لم يؤد صاحبه واجبات ما بعده، فلا يتكرر إلا استدراجا.

٥. **فساد القلب وانشغاله عن الله:** بالهم والغم والأحزان.

٦. **الهلاك والتعرض لعذاب الله:** فقد مر بنا أن الإعجاب واحد من المهلكات، وأن التفريط في الشكر يستوجب العذاب.

٧. **أن يكون النصر مبتورا وقاصرا وممسوخا،** ولن يؤدى دوره في الحياة.

---

(١) رواه أحمد (٢٧١٣٤)، والترمذي (٣٥٨٣)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٤٠٨٧).

(٢) تحفة الأحوذي (٨/ ٤٨٠).

٨. **حبوط العمل:** فالإعجاب بالنفس، ونسيان فضل الرب يحبط أعمال الإنسان.

٩. **زوال النعمة:** فإن من سنة الله أن من لم يؤد شكر نعمة يعرض نفسه لتبديدها وتبديلها.

بعض المخرجات الوجدانية لتدبر الوصية

إذا أحسن المسلم تفهم وصية الله له وتدبرها جيدا؛ فإنه يجد لذلك أثرا في قلبه، ويفيض ذلك الأثر على وجدانه، بل وكل كيانه.

- **فيشعر بنعمة الله عليه** ورحمته به حين نبهه إلى وجهة النصر ومعاييره ومكملاته.
- **ويشعر بالتقصير** في واجبات ما بعد الانتصار، فهناك الكثير من الانتصارات والنجاحات التي ربما تكون يومية ورغم ذلك يغفل عن واجباتها.
- **ويشعر بضرورة** المواظبة على التوبة والافتقار والشكر والانكسار، فالنجاحات والانتصارات أكثر من أن تحصى، فهي من أمثلة نِعَمه وكرمه سبحانه الذي لا يُحد ولا يُعد، يكفي انتصارا أنه أنعم على العبد بأنه لا زال يعبده ويوحده.
- **ويشعر بالأمل والتفاؤل** ولا يستصعب أو يستبعد نصرًا أو نجاحًا بعد ذلك أبدا.
- **ويشعر بالندم** على غفلته عن تدبر هذ السورة العظيمة؛ لأن تدبرها كان سيوفر كثيرا من الوقت ويسدد الكثير من الجهد.
- **ويشعر بالندم** على نظرته السطحية السابقة لتلك السورة؛ حين كان يتصور أنها تناقش فقط فتح مكة، وأنها رسالة خاصة للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- **ويشعر بعظمة القرآن،** ففى تلك العبارات الموجزات، يلخص ويبين قضية من أعظم المهمات.
- **ويزداد إحساسه** بأهمية الشكر والانكسار والتسبيح والاستغفار ولا سيما عقب الانتصار.

* **ويشعر أن** الحفاظ على النصر لا يقل أهمية عن السعي لتحقيقه إن لم يكن أهم.
* **ويشعر أنه** ليس المهم أنني انتصرت أم لا؟ المهم هل هذا النصر هو الأرضى لله أم لا؟
* **ويشعر بالندم** على تلك الفترة التي كان يتخبط فيها بحثًا عن النجاح والنصر.
* **ويشعر بالفرح؛** لأن الله هداه لتدبر هذه السورة.

الأسماء والصفات التي تجلت في الآيات

القرآن كلام الله، وأكثر ما تكلم عنه القرآن هو (الله)، وأعظم ما يقدمه القرآن للإنسان أن يُعَرِّفَه بالله، وأهم ما ينبغي أن يخرج به الإنسان من تدارس القرآن أن يزداد ارتباطا بالرحمن، وهذا هو المقصد الأكبر للقرآن، تأسيس وتكميل وتدعيم الإيمان، وخصوصا الإيمان بالله.

لذا فإنه ما ينبغي أن نتدارس آية أو سورة إلا ونتوقف مع ما جاء فيها من أسماء وصفات وقفة لائقة؛ فنستخرج الاسم أو الصفة، ونفهم المعنى، ونستخرج آثار ذلك الاسم في السورة أو الآية، ونتفكر في تلك الآثار، ونشهد منة الله وعظمته، وقوته ورحمته، وعزته وقيوميته.

فإن كل اسم ذُكِر في آية أو سورة، تكون تلك الآية أو السورة بمثابة شرح لذلك الاسم، وإبراز لآثاره وسماته المميزة.

بقي أن نقول: إن تدارس الأسماء والصفات، من أقوى المحفزات، ومن أكثر ما يدفع الإنسان للاستجابة للآيات.

إننا حين نتأمل في الآيات من زاوية الأسماء والصفات، نجدها تتحدث عن شواهد وآثار لأسماء الله وصفاته على صفحات «التاريخ المأثور» (نصر الله لنبيه والفتوحات التي امتن بها عليه)، كما تتحدث عن شواهد وآثار أخرى على صفحات «التشريع المسطور» (التوصية بواجبات ما بعد النصر وما في ذلك من الحكمة والرحمة والنعمة والعظمة).

ومن الأسماء والصفات التي تجلت في هذه السورة:

١. **النصير:** حيث نصر رسولنا ومَكَّن له في الأرض.

٢. **الفتاح**: حيث فتح لرسولنا من أبواب الخير وفتح عليه مكة وغيرها.

٣. **السبوح**: الذي تنزه عن النقائص، ويستحق التسبيح.

٤. **الحميد**: الذي يستحق المحامد كلها على ذاته وصفاته.

٥. **التواب**: فهو الذي يفتح لعباده باب التوبة، ويدعوهم إليها، ويقبلها منهم دوما.

٦. **الودود**: الذي تودد إلينا بإرشادنا لما يحفظ علينا الإنجازات والانتصارات.

٧. **الرحيم**: الذي رحمنا من الغفلة عن واجبات ما بعد الإنجازات فهدانا لما ينبغي فعله.

الفرع الرابع

الحق الثامن (الاتباع)

أولا: الخطة التشغيلية للتزكي بالسورة

أولا: التزكية (تطهيرا وتطويرا):

■ **التطهير:**

نُعِدُ سجلا (للمنجزات)، ونبدأه بتحديد ثلاثة منجزات في حياتنا لم نقم بواجبات ما بعدها، فنتوب إلى الله ونستغفره من تقصيرنا، ونبدأ في القيام بواجبات ما بعدها.

التطوير (١): نقوم بتحديد شيء كنا قد يئسنا من إنجازه، ثم نبدأ في السعي لإنجازه، بنفسية جديدة مع مراعاة مقومات النصر التي جاءت في السورة، وانتواء القيام بواجبات ما بعد الإنجاز، فنقوم بوضع خطة للنجاح والنصر، ونستعين بالوحي لإرشادنا إلى: «الوجهة، الهدف، معايير ومقاييس النصر، واجبات ما

بعد النصر (المكملات أو المثبتات)».

التطوير (٢): صلاة الضحى أو النوافل كلون من ألوان الواجبات العملية التي قام بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد النصر. ففي الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ سُبْحَةَ الضُّحَى**»[(١)] يوم فتح مكة.

فإذا اعتبرنا صلاة الضحى تسبيحا - وقد كانت تُسَمَّى «**سُبْحَة الضحى**» - على القول الذي يُفَسِّر التسبيح بصلاة النافلة، يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد سَبَّح بحمد ربه عند النصر أو الفتح أو الإنجاز (ذكرا وصلاة)، بل لقد أتم ما وصاه الله به بالاستغفار والتوبة؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضُّحَى ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»، حَتَّى قَالَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ[(٢)].

التطوير (٣): الاجتهاد في العمل للآخرة استعدادا للموت، وقصر الأمل (نتعبد عبادة مودِّع، ولنبدأ «**بصلاة مودِّع**»). روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قَالَ: نُعِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسُهُ حِينَ أُنْزِلَتْ، فَأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ[(٣)].

التطوير (٤): نكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار في أكبر قدر ممكن من المواطن؛ فقد صح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تسبيحه وتحميده واستغفاره قد زاد بشكل بارز بعد نزول السورة.

---

(١) متفق عليه: البخاري (١/ ٨١)، (١١٠٤)، ومسلم (١/ ٤٩٨).

(٢) الأدب المفرد (ص٢١٧)، وصححه الألباني؛ وليس في الحديث ما يحدد زمن ذلك (قبل نزول السورة أم بعدها؟).

(٣) السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٤٩)، المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣٢٨)، المطالب العالية لابن حجر (١٢/ ٢٨٨)، الأحاديث المختارة للمقدسي (١٢/ ٢٩١)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣/ ١٧٢): «أما حديث هلال بن خباب؛ فحسن الإسناد».

* **فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ قَبْلَ مَوْتِهِ أَنْ يَقُولَ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُكْثِرَ مِنْ دُعَاءٍ، لَمْ تَكُنْ تَدْعُو بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبِّي جَلَّ وَعَلَا أَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَيُرِينِي عَلَمًا فِي أُمَّتِي، فَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُ ذَلِكَ الْعَلَمَ أَنْ أُسَبِّحَهُ، وَأَحْمَدَهُ، وَأَسْتَغْفِرَهُ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، فَتْحُ مَكَّةَ»[1].

* **وعَنْ عَبْدِ اللهِ (ابن مسعود)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ»[2].

۞ ويُستحب أن يأتي بعد الصيغ المأثورة المخصوصة في هذا المقام بالصيغ الجامعة المأثورة مطلقا:

١) **فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِ جُوَيْرِيَةَ، بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»، وفي رواية: «سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ»[3].

---

(١) صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٢٣) وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٢) مسند أحمد (٧/ ٧) وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٣) صحيح مسلم (٧٩/ ٢٧٢٦).

٢) فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَآنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُحَرِّكُ شَفَتَيَّ فَقَالَ: «مَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟»، قُلْتُ: أَذْكُرُ اللهَ، قَالَ: «أَفَلا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ أَوْ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ، وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ»، ثُمَّ قَالَ: «تُعَلِّمُهُنَّ عَقِبَكَ مِنْ بَعْدِكَ»(١).

٣) وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: الْحَمْدُ للهِ كَثِيرًا، فَأَعْظَمَهَا الْمَلَكُ أَنْ يَكْتُبَهَا، وَرَاجَعَ فِيهَا رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَقِيلَ لَهُ: اكْتُبْهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي كَثِيرًا»(٢).

٤) وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى، فَانْتَهَى وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الصَّفِّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ قَالَ: «أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟»، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا؟»، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْرَعْتُ الْمَشْيَ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى الصَّفِّ، وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ، فَقُلْتُهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا»، وفي رواية: «لَقَدِ ابْتَدَرَهَا اثْنَا عَشَرَ مَلَكًا، فَمَا دَرَوْا كَيْفَ يَكْتُبُونَهَا حَتَّى سَأَلُوا

(١) رواه الطبراني (٧٩٣٠)، وابن حبان (٨٣٠)، انظر: الصَّحِيحَة (٢٥٧٨)

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٠٦١)، انظر: الصَّحِيحَة (٣٤٥٢)

رَبَّهُمْ عَزَّوَجَلَّ؟ فَقَالَ: اكْتُبُوهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي»[1].

٥) وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[2].

٦) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»[3].

ثانيا: تعاهد التزكية (الربط الواقعي):

بما أن إنجاز (الصلاة) هو أكبر إنجاز يومي، نضع في مكان الصلاة بالمنزل ورقة مكتوب عليها «وصية سورة النصر الرئيسية»، أو عبارات تذكرنا مثل: «الصلاة (إنجاز كبير) تعامل معه كما لو كان آخر إنجاز لك، ولا تغفل عن أداء واجبات ما بعده».

وإذا تأملت في أذكار (ما بعد الصلاة) التي نرددها تجدها تدور في فَلَك ما أوصتنا به سورة النصر، وتذكرنا به على الأقل خمس مرات في اليوم والليلة بذلك ليكون منهجية لنا في التعامل مع أي نصر أو إنجاز، فأول ما نبدأ به بعد الصلاة (الاستغفار)، ثم نجد في تلك الأذكار (التسبيح، والتحميد). أما صلاة الفريضة في حد ذاتها فقد كانت (تسبيحا)، فإذا تنفلت بصلاة بعد الفريضة كانت (تسبيحا) أيضا.

---

(١) صحيح مسلم (١٤٩/ ٦٠٠)، ورواه أحمد (١٢٠٥٣، ١٣٠١١)، وأبو داود (٧٦٣)، وانظر: الصحيحة (٣٤٥٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٧٠/ ٢٧١٩).

(٣) صحيح مسلم (٢١٦/ ٤٨٣).

وكأن صلاة الفريضة، وهي من أحب الأعمال إلى الله، وما تلاها من استغفار وتجديد للتوبة وتسبيح وتحميد، كانت توسلات إلى الله بالأعمال الصالحة؛ ليعين العبد على أن يدوم على القيام بواجبات ما بعد النصر من الذكر والشكر وحُسن التعبد.

ولعلنا إن استحضرنا ذلك، ندرك مدى حاجتنا لما كان يردده رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الصلاة من أذكار، بل وندرك أهمية الوصية التي وَصَّى بها معاذا حين قال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ... أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: (اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)**»[1].

أضف إلى ما سبق أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نزلت عليه سورة النصر ربطها بالصلاة، فتأول منها دعاءً جعله في ركوعه وسجوده، ولما حصل له الفتح النصر جعل من واجبات ما بعد النصر أن يزيد في الصلاة، فصلى الضحى ثماني ركعات[2]، رغم أن أغلب صلاته لها كانت أربعا.

لذا تَذَكَّر دوما سورة النصر مع الصلاة، واستحضر كم هو فتح كبير فتحه الله عليك أن أكرمك بالصلاة، واعتبر صلاتك وما بعدها قياما بواجبات لإنجازات وانتصارات يمن الله بها عليك في يومك، ما لا تعرفه منها أكبر بكثير مما تعرفه.

۞ ثالثا: الاستعانة على التزكية (التفاعل بدعائي المسألة الثناء):

* **كان رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بعد نزول السورة** يواظب على التسبيح والتحميد والاستغفار؛ يقول ابن حجر: «كَانَ يُوَاظِبُ عَلَى ذَلِكَ دَاخِلَ

(١) رواه أحمد (٣٦/ ٤٣٠) وصححه الأرناؤط، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٧)، وانظر: صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (١٥٩٦).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٤٦).

الصَّلَاةِ وَخَارِجَهَا وَفِي رِوَايَةٍ مَنْصُورٍ بَيَانُ الْمَحَلِّ الَّذِي كَانَ ﷺ يَقُولُ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَهُوَ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ»[(١)].

* **ففي الركوع والسجود كان يقول:** «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، وفي رواية: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، وفي رواية: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ثَلَاثًا، ولعل السياق الأخير هو الأتم داخل الصلاة.

* **أما في خارج الصلاة،** فَوَرَدَ أنه كان يقول: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وفي رواية: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، وفي رواية: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ».

■ **وإليكم جملة من النصوص الدالة على ما سبق:**

١) **عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[(٢)].

٢) **وجعل استجابته في الركوع والسجود تحديدا،** فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا، وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»[(٣)]. و«يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» أَيْ: يُفَسِّرُهُ، وَيَعْمَلُ بِهِ[(٤)]، فيستخرج ما توصي به الآيات ويمتثله[(٥)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٢٩٩)

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٧٨)

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٧٨).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٤١).

(٥) ولقد ذهب معظم العلماء إلى أن المراد امتثله أو عمل به أو فعل المأمور أو نَفَّذه أو طَبَّقَه. انظر: فتح الباري=

قال ابن رجب: «فتأويل القرآن، تارة يراد به تفسير معناه بالقول، وتارة يراد به امتثال أوامره بالفعل»[(١)].

وقال الطيبي: «لما أُمِرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ صَدَّقَه بفعله. وأظهر ما يقتضي مآل أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الامتثال، وحصول المأمور به»[(٢)].

وقال النووي: «وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ الْبَدِيعَ فِي الْجَزَالَةِ الْمُسْتَوْفِي مَا أُمِرَ بِهِ فِي الْآيَةِ وَكَانَ يَأْتِي بِهِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ لِأَنَّ حَالَةَ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهَا فَكَانَ يَخْتَارُهَا لِأَدَاءِ هَذَا الْوَاجِبِ الَّذِي أُمِرَ بِهِ لِيَكُونَ أَكْمَلَ»[(٣)].

٣) بل كان يكثر من ذلك خارج الصلاة أيضا؛ فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ «**سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[(٤)]. وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»[(٥)]. وفي رواية: كَانَ

= لابن حجر (٢/ ٢٩٩)، فيض الباري على صحيح البخاري (٢/ ٣٨٨)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/ ١٢٢)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٧٠٩)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١٨٦)، نيل الأوطار (٢/ ٢٨٦)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٢٨٩)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦/ ٩٥)، حاشية السيوطي على سنن النسائي (٢/ ٢١٩)، شرح أبي داود للعيني (٤/ ٨٧)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ٣١٦)، عون المعبود وحاشية ابن القيم (٣/ ٩٢)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٧/ ٢٢٣)، تطريز رياض الصالحين (ص١٠٠)، شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد (١/ ٦).

(١) فتح الباري لابن رجب (٧/ ٢٧٢).

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ١٠١٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٠١).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٥٠).

(٥) صحيح مسلم (٢/ ٥٠).

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ قَبْلَ مَوْتِهِ أَنْ يَقُولَ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»(١).

٤) **ولقد اشتهر ذلك الأمر عنه حتى رواه غير واحد من الصحابة،** فعَنْ عَبْدِاللهِ (ابن مسعود)، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، كَانَ يُكْثِرُ إِذَا قَرَأَهَا وَرَكَعَ أَنْ يَقُولَ «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ثَلَاثًا(٢). وفي رواية: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ»(٣).

بل وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستخدم نفس المنهجية في مواطن أخرى بعد إنجازات كثيرة؛ وفي أوراد الصباح والمساء، ولا ندري هل كان بعد نزول السورة أم قبلها؟ لكنه يفتح آفاقا لتعميم تلك المنهجية على كل إنجاز، وإن اختلفت الألفاظ.

١) **فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:** مَا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا قَطُّ، وَلَا تَلَا قُرْآنًا، وَلَا صَلَّى صَلَاةً إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ مَا تَجْلِسُ مَجْلِسًا، وَلَا تَتْلُو قُرْآنًا، وَلَا تُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا خَتَمْتَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا خُتِمَ لَهُ طَابَعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٤).

---

(١) صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٢٣) وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٢٠٧) وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٧/ ٧) وحسنه شعيب الأرناؤوط.

(٤) السنن الكبرى للنسائي (٩/ ١٢٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧/ ٤٩٥)، والوادعي في الجامع (٢/ ١٢٨).

٢) وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتاه الأمر يسُرّه (أو يحبه) قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات». وإذا أتاه الأمر يكرهه (أو يسؤوه) قال: «**الحمد لله على كل حال**»[(١)].

٣) وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا أصبحَ أحدُكُم فليقُلْ: (أصبحنا وأصبَح المُلكُ لله ربِّ العالمين، اللَّهُمَّ إني أسألك خيرَ هذا اليوم فتحَهُ ونصرَهُ ونورَهُ وبركتَهُ وهُدَاه، وأعوذ بك من شرِّ ما فيه وشرِّ ما بعدَهُ)، ثم إذا أمسى فليقُل مثلَ ذلك»[(٢)].

وذلك منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَدُّ امتثالا لما أوصت به السورة واتباعا له، وهو ما وصفته أمنا عائشة بقولها «يتأول السورة»، لكنه في ذات الوقت يُمَثِّل استخداما منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك الدعاء في الاستعانة على ما أوصت به السورة من تزكية عملية تتجاوز مسألة تأول دعاء واستخدامه في السجود والركوع في الصلاة، وإلا فقد صح عنه كما سيأتي أنه أكثر من التسبيح والتحميد مطلقا.

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٥٠)، مسند البزار (٢/ ١٦٦)، وانظر: صحيح الجامع (٤٦٤٠).

(٢) سنن أبي داود (٧/ ٤١٧)، وصححه الأرنؤوط.

ثانيا: صور الاتباع

* **التعظيم ونية الامتثال، والمسارعة بالتطبيق.**
* **التحكيم:** في خضم ذاك الاختلاف حول ماهية النصر وسبل تحقيقه ومعاييره، تأتى سورة النصر لتحكم بيننا بحكم الله في المسألة وتحسم القضية .
* **التداوى:** سورة النصر ترياق لكل من كانت لديه مشكلة مع النصر، سواء كان لا يتحقق أم يتحقق مبتورًا أم يتحقق ولا يستمر.

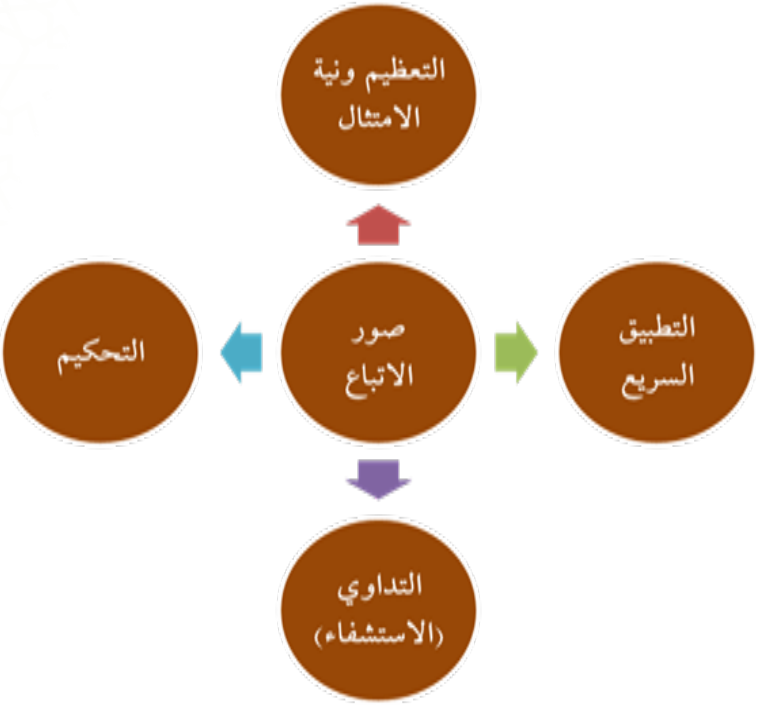

الفرع الخامس

الحق التاسع (التعليم)، الحق العاشر (الدعوة)

* **لم تنته حقوق السورة بعد،** فلا نريد للخير أن يقف عند أحد لذا لا بد من تعليم (معاني ومباني) هذه السورة وغيرها بطريقة العلم والعمل كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
* **قال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ (وفي رواية: إِنَّ أَفْضَلَكُمْ) مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١).
* **قال ابن تيمية:** «دَخَلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» تَعْلِيمُ حُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ جَمِيعًا؛ بَلْ تَعَلُّمُ مَعَانِيهِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ بِتَعْلِيمِ حُرُوفِهِ وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَزِيدُ الْإِيمَانَ»(٢).
* **وعلينا أن ندعو لطريقة العلم والعمل في التعامل مع القرآن،** وأن ندعو لما دعت إليه ووصت به هذه السورة المباركة وغيرها.
* **قال سبحانه:** ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾ [الأحزاب: ٣٩].

(١) صحيح البخاري (١٧/ ٢٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤٠٣)

المبحث الثالث

أهل سورة النصر (النماذج الواقعية)

أولا: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقد تدبر السورة جيدا، ولكثرة معايشته للخطاب القرآني تفهما وتدبرا واتباعا، أدرك ما تشير إليه الآيات وتحمله في طياتها من تهيئة له وإشارة لقرب مفارقته للدنيا. عن ابن عباس قال: لما نزلتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نُعيتْ إليّ نفسي**»، بأنه مقبوض في تلك السنَة[(١)].

لقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو يعلم ذلك، ولم يُذنِب قط، وكان يستغفر في اليوم الواحد أكثر من مئة مرة[(٢)]، ويستغفر في الصباح الواحد مئة مرة[(٣)]، بل يستغفر في المجلس الواحد أكثر من مئة مرة[(٤)]، بل كان يعمل أعمالا حرية بتكفير أي ذنب، ورغم كل ذلك لما أوصاه الله بالتوبة والاستغفار، لم يتأخر، ولم يَرَ نفسه غير محتاج إليه، بل امتثل ما طلبه الله منه بحرفه، وعَمَّر يومه كله بالتسبيح والتحميد والاستغفار.

رغم أن بعض المفسرين فَسَّر ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ بقوله: «ذَلِكَ تَنْبِيهٌ لِأُمَّتِهِ، لِكَيْلَا يَأْمَنُوا وَيَتْرُكُوا الِاسْتِغْفَارَ. وَقِيلَ: وَاسْتَغْفِرْهُ أَيِ اسْتَغْفِرْ لِأُمَّتِكَ»[(٥)].

لم يشغله الفتح والانتصار، عن الانكسار والاستغفار، والمسارعة في مرضاة الواحد القهار. فماذا نقول نحن؟! غفرانك ربنا، واسوءتاه وإن عفوت!

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٤٣٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) صحيح مسلم (٢٧٠٢).

(٣) السنن الكبري للنسائي (٩/ ١٦٧)، الدعاء للطبراني (١/ ٥١٠)، انظر: صَحِيح الْجَامِع (٥٥٣٤).

(٤) رواه أحمد (٨/ ٣٥٠) وصححه الأرناؤوط، وانظر: الصَّحِيحَة (٥٥٦).

(٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٣)، تفسير أبي السعود (٩/ ٢٠٩).

قال القرطبي: «وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مَعْصُومٌ يُؤْمَرُ بِالِاسْتِغْفَارِ، فَمَا الظَّنُّ بِغَيْرِهِ؟!»(١).

فاستجاب للوصية في كل صلاة؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «**سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(٢).

وجعل استجابته في الركوع والسجود تحديدا، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا، وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ**»(٣).

بل كان يكثر من ذلك خارج الصلاة أيضا؛ فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: (**سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**). قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: (**جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ**»(٤).

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**». قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: «**خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. فَقَدْ رَأَيْتُهَا** ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فَتْحُ مَكَّةَ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٣).
(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٧٨).
(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٧٨).
(٤) صحيح مسلم (٢/ ٥٠).

يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٢، ٣]»[(١)].

وفي رواية: «وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُهَا أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرَهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَدْ رَأَيْتُهَا»[(٢)].

وفي رواية: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ قَبْلَ مَوْتِهِ أَنْ يَقُولَ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُكْثِرَ مِنْ دُعَاءٍ، لَمْ تَكُنْ تَدْعُو بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبِّي جَلَّ وَعَلَا أَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَيُرِينِي عِلْمًا فِي أُمَّتِي، فَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُ ذَلِكَ الْعِلْمَ أَنْ أُسَبِّحَهُ، وَأَحْمَدَهُ، وَأَسْتَغْفِرَهُ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: ١]، فَتْحُ مَكَّةَ»[(٣)].

ولقد اشتهر ذلك الأمر عنه حتى رواه غير واحد من الصحابة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ (ابن مسعود)، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، كَانَ يُكْثِرُ إِذَا قَرَأَهَا وَرَكَعَ أَنْ يَقُولَ «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ثَلَاثًا[(٤)].

وفي رواية: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ»[(٥)].

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٥٠).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤٠/ ٧٦) وصححه الأرناؤوط.

(٣) صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٢٣) وصححه الألباني والأرناؤوط

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٢٠٧) وحسنه الأرناؤوط.

(٥) مسند أحمد ط الرسالة (٧/ ٧) وحسنه الأرناؤوط.

لقد تعامل رسولنا الكريم مع السورة أكمل تعامل بالعلم والعمل:

١) **فتفهم** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآيات وما تشير إليه بمنطوقها ومفهومها (من نعيه واقتراب أجله).

٢) **ثم حَوَّل** ما فهمه من السورة إلى وصايا عملية (أَنْ أُسَبِّحَهُ، وَأَحْمَدَهُ، وَأَسْتَغْفِرَهُ).

٣) **ثم أسقط** الآيات على نفسه (فَقَدْ رَأَيْتُهَا).

٤) **وما هرب مما تشير إليه وتدل عليه** (من نعيه واقتراب أجله)، بل تفكر في عاقبة الاستجابة لماتوصي به (فالحياة أوشكت على الانتهاء، ولا بُدَّ أن يكون ختامها حسنا).

٥) **فبادر بالاستجابة** قولا وعملا لما أوصت به من خلال خطة تشغيلية.

- فدعا متوسلا بالأسماء الحسنى التي استخرجها من السورة (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أستغفرك اللهم وأتوب إليك، إنك أنت التواب الرحيم).
- ونَزَّه ربه؛ فأكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار.
- وربط السورة واقعيا بأكبر إنجاز يومي وهو الصلاة؛ فكان يستخدم ما أوصت به السورة من دعوات وتنزيهات في الركوع والسجود.
- وأكثر من صلاة النوافل كالضحى وغيرها؛ فقد صلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكة ثماني ركعات[1].
- واجتهد في العمل للآخرة والتعبد عبادة مودع؛ فقد روي عَنِ ابْنِ

(١) متفق عليه: البخاري (١/ ٨١)، (١١٠٤)، ومسلم (١/ ٤٩٨).

عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: نُعِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسُهُ حِينَ أُنْزِلَتْ، فَأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ(١).

❁ ثانيا: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أكرمه الله واصطفاه لدعوة الحق، فسأل الله أن يرزقه مَنْ يعينه على القيام بواجبات ما بعد ذلك الإنعام، ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤﴾ [طه: ٢٩ - ٣٤].

❁ ثالثا: يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

في اللحظة التي تم له فيها كل شيء، وتحققت رؤياه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝١٠٠﴾.

وفي هذه اللحظة نزع يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه من الصفاء والعناق والفرحة والابتهاج ليتجه إلى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر.

كل دعوته وهو في أبهة السلطان وفي فرحة تحقيق الأحلام: ﴿❁ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝١٠١﴾ [يوسف: ١٠١].

وهنا يتوارى الجاه والسلطان، وتتوارى فرحة اللقاء وتجمع الأهل ولمة

(١) السنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٣٤٩)، المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣٢٨)، المطالب العالية لابن حجر (١٢/ ٢٨٨)، الأحاديث المختارة للمقدسي (١٢/ ٢٩١)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣/ ١٧٢): «أما حديث هلال بن خباب؛ فحسن الإسناد».

الإخوان، ويبدو المشهد الأخير مشهد إنسان فرد يبتهل إلى ربه أن يحفظ له إسلامه حتى يتوفاه إليه، وأن يلحقه بالصالحين عنده من فضله ومَنِّه وكرمه(١).

۞ رابعًا: سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لما نصره الله وفتح له ورأى عرش ملكة سبأ مستقرا عنده قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وكان كلما رأى فتحا أو إنجازا أنجزه الله له، يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

۞ خامسا: زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لما أنعم الله عليه بنصر وإنجاز، وَصَّاه بالانشغال بالذكر الكثير والتسبيح، ويقول سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٤١]، فاستجاب لوصية ربه، ووَصَّى قومه، فقال: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١].

۞ سادسا: الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتدارسون سورة النصر ويتدبرونها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ».

قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ...﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩٧).

اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»(١).

وفيما سبق دليل صريح على أن الصحابة كانوا يعقدون مجالس لتدارس معاني القرآن، ليس فقط لتدارس حروفه، بل كانت تلك المجالس لتدبر آيات الكتاب العزيز، ويحضرها صغار السن من الصحابة.

وتأمل كيف كانت قدرتهم على فهم المعاني المباشرة وغير المباشرة (الإشارية المنضبطة)، وكيف استخرجوا منها الوصايا العملية.

قال ابن حجر: «وَفِيهِ جَوَازُ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِمَا يُفْهَمُ مِنَ الْإِشَارَاتِ وَإِنَّمَا يَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ رَسَخَتْ قَدَمُهُ فِي الْعِلْمِ»(٢).

۞ سابعا: سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما نصره الله على الفرس وفتح عليه المدائن، استحضر ما أوصت به سورة العصر، فصلى شكرا لله، وكانت تسمى «صلاة الفتح».

۞۞۞

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٤٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٦).

الختام التعزيزي (الاستمرارية)

وفي الختام نُبَشِّركم!:

قد أصبح الطريق الآن أمامكم ممهدا؛ لتحققوا حلمكم في أن تكونوا من أهل القرآن المؤمنين به؛ لتحققوا حلمكم الأكبر في أن تكونوا من أهل الله.

أبشروا - إن تفهمتم وتدبرتم واتبعتم وصايا السورة - بالدخول في زمرة أهلها (من الدرجة الثالثة «التمرة»)، ولن يكون من الصعب عليكم - إن شاء الله - أن تتقنوا ضبط مبانيها وتحفظوها رواية (تستظهروها)، بل ربما تكونوا قد ضبطموها وحفظتموها بالفعل، وبذلك تدخلون في زمرة أهلها (من الدرجة الثانية «الأترجة»).

ولا تتوقفوا عند هذا الحد؛ فلن يكون من الصعب عليكم - إن شاء الله - أن تُعَلِّموا ما تعلمتموه من معاني ومباني السورة لغيركم ولو لشخص واحد، وتُبَلِّغوا رسالة الله؛ لتدخلوا في زمرة أهل السورة (من الدرجة الأولى «خيركم أو الرباني»).

أبشروا إن فعلتم السابق بأن تكون السورة حجة لكم، وبأن تكونوا قد صرتم من أصحابها وحامليها والمؤمنين بها؛ فقد وفيتموها حقوق معانيها (الإيمان) وحقوق مبانيها (القرآن)، ووفيتموها حقوقها العلمية والعملية، وتدارستموها على أكمل وأتم صورة.

أبشروا لقد شققتم لأنفسكم طريقا للوصول إلى (مرتبة أهل القرآن)، وقد قطعتم مرحلة في رحلة التحقق بهذا الوصف الشريف، فأكملوا المسير، وأوصيكم بالخطوات التعزيزية التالية، وهي ضرورية لتقييد تلك النعمة التي امتن الله بها علينا، وتنميتها وتطويرها.

وهي مجموعة أمور ورد في الشريعة ما يدل على أنه يستحب فعلها بعد العمل؛ مثل:

١. **التعاهد التربوي (العملي):** ويتم ذلك من خلال الربط الواقعي والاستدعاء العملي.

٢. **الدعاء والتضرع:** تضرع إلى الله أن يعينك على القيام بحقوق القرآن عليك كاملة، وأن يجعلك أسعد الناس به وأن ينفعك بما جاد به عليك.

٣. **الشكر والذكر:** اشكر الله على ما من به عليك، واسأله العون على شكر نعمته والقيام بحقها.

عَنْ عَائِشَةَ: مَا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا قَطُّ، وَلَا تَلَا قُرْآنًا، وَلَا صَلَّى صَلَاةً إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ مَا تَجْلِسُ مَجْلِسًا، وَلَا تَتْلُو قُرْآنًا، وَلَا تُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا خَتَمْتَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا خُتِمَ لَهُ طَابَعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[(١)].

وهذه سنة مهجورة تختم بها التلاوة، فقد بوب النسائي باب «ما تختم به التلاوة» وأورد هذا الحديث، وفي هذه السُّنَّة غنية عما استحدثه الناس من التزام قول «صدق الله العظيم» بعد التلاوة.

٤. **الاستغفار على التقصير:** قيل ليوسف بن أسباط: إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ فقال: «أستغفر الله عَزَّوَجَلَّ من تقصيري سبعين مرة»[(٢)].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (٩/ ١٢٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧/ ٤٩٥)، والوادعي في الجامع (٢/ ١٢٨).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٨).

٥. **الإقرار بالفضل لله وحده:** فلا حول ولا قوة إلا بالله.

٦. **اطرد العجب:** اسأل الله أن يصرف عنك العجب والرياء والغرور وكل صور نقص التجرد.

٧. **طلب القبول:** اسأل الله أن يتقبل هذا العمل منك على قصوره، وأن يعود عليك بالفضل ثانية.

٨. **العزم على إكمال المسيرة:** بتطبيق المشروع على كل آيات القرآن.

٩. **القيام بالقرآن والصلاة به ليلا:** قم بالقرآن وَصَلِّ به ليلا، وإلا كانت شفاعته لك مهددة، ففي الحديث: «**وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربي إني منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فُيشَفَّعَان**»(٢).

١٠. **تجنب المعاصي والمخالفات:** عَنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: «مَا تَعَلَّمَ رَجُلٌ الْقُرْآنَ، ثُمَّ نَسِيَهُ إِلاَّ بِذَنْبٍ»، ثُمَّ قَرَأَ الضَّحَّاكُ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، ثُمَّ قَالَ: «وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ نِسْيَانِ الْقُرْآنِ»(٣). وقال ابن مسعود: «إِنِّي لَأَحْسَبُ الْعَبْدَ يَنْسَى الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٥/ ١٩٨)

(٢) رواه أحمد (١١/ ١٩٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٠)، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٨).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧٨)

(٤) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص٦١)

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت من نفسك إعراضا عن شيء من دين الله، أو رأيت إعراضا عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، إما عن تلاوته اللفظية، أو تلاوته المعنوية (التدبر)، أو تلاوته العملية (الاتباع)، فإنه يجب عليك أن تعالج نفسك، واعلم أن سبب هذا الإعراض هو المعاصي»[1].

(١) تفسير سورة المائدة (١/ ٤٨٣)

الخاتمة

قد كانت هذه الدراسة محاولة لتفعيل ما قمتُ بتأصيله سابقا في مشروعي (القرآن علم وعمل) فيما يتعلق بالمنهجية النبوية في التعامل مع القرآن الكريم (علما وعملا)، وذلك لتقريبِ مسألة فهم القرآن وتدبره والعمل به والقيام بحقوقه والانتفاع الكامل به.

وقد وقع اختياري فيها على سورة (النصر) كسورة مشتهرة سهلة التناول قصيرة المباني عظيمة المعاني؛ وأردت مساعدة المسلمين على الانتفاع الكامل بالسورة (علما وعملا)، واتخاذها كمثال يحتذونه في هذا الطريق؛ فاجتهدتُ في التأصيل العلمي لما يتعلق بمباحثها من ناحية التفسير وعلوم القرآن، لكن ما رَكَّزت عليه هذه الدراسة هو تَناول تلك المباحث في إطار مقاصدي عملي، مع التأكيد على انعكاساتها العملية والتطبيقية، والعناية الأكبر بالمسائل التي تخدم الفهم والتدبر والتطبيق بصورة مباشرة.

كما تم عقد مباحث تطبيقية تفصيلية لما يتعلق بتدبر السورة واتباعها والقيام بحقوقها كاملة.

وقد أثبتت هذه الدراسة قابلية (منهج العلم والعمل) للتطبيق على سور القرآن الكريم، وأن سُنَّة النبي ﷺ حافلة بالآفاق التدبرية والتطبيقية المتعلقة بالآيات والسور القرآنية، وأن التعامل النبوي مع القرآن قد كان أعمق وأكمل من مجرد القيام بحقوق المباني من القراءة والتجويد وحفظ الرواية. وأن السور قصيرة المباني كسورة النصر، قد ضَمَّنها الله أعظم المعاني التي يحتاجها الإنسان لإصلاح دنياه وأخراه.

لذا فإننا نوصي بالتالي:

١. **ضرورة اعتماد المنهج النبوي المتكامل في التعليم القرآني** (الإيمان والقرآن، والعلم والعمل) في مؤسسات التعليم القرآني، وتعميمه.

٢. **تدريب العاملين في مؤسسات التعليم القرآني** على أصول وقواعد المنهج النبوي في التعليم القرآني.

٣. **دعوة جماهير المسلمين** للعودة للمنهج النبوي في التعامل مع القرآن الكريم.

٤. **دعوة الباحثين إلى مزيد من الدراسات التطبيقية** حول سور وآيات القرآن الكريم؛ لتقريب مسألة تدبر القرآن والعمل به للمسلمين.

٥. **بذل قدر أكبر من العناية للسور والآيات التي يستخدمها المسلمون كثيرا،** ويكثر ترددهم لها في حياتهم اليوم؛ لأنها سهلة التناول، وتشتمل على كنوز يحتاج الناس لتقريبها لهم.

٦. **ضرورة تبصير المسلمين (تأصيلا وتفعيلا)** بضرورة مطالعة السُّنَّة النبوية لمطالعة الآفاق التدبرية والتطبيقية للسور والآيات القرآنية؛ والتأكيد على أن تدارس السورة لا ينبغي أن يقتصر على ما جاء في كتب التفسير؛ لأن ذلك يؤدي غرض (التدارس العلمي)، لكن يبقى التدارس العملي (تدبرا واتباعا) هو الأهم.

٧. **الشروع في تفسير تدبري تطبيقي للقرآن كاملا؛** يرتكز على منهجية العلم والعمل.

المصادر والمراجع

١. «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر. (د. ط)، بيروت - لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢. «**إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام**». ابن دقيق العيد. (د. ط)، مطبعة السنة المحمدية، (د. ت).

٣. «**إحياء علوم الدين**». الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي. (د. ط)، بيروت: دار المعرفة، (د. ت).

٤. «**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**». القسطلاني، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري. ط٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ.

٥. «**اقتضاء العلم العمل**». الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ.

٦. «**التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ.

٧. «**الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**». القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (د. ط)، القاهرة: دار الكتب

المصرية، (د. ت).

٨. «**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**». ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد. ط١، المغرب: دار المعرفة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩. «**السنن الكبرى**». النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٠. «**الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**». ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي. تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

١١. «**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**». الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

١٢. «**القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**». ابن العربي المالكي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الإشبيلي. تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م

١٣. «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**». ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

١٤. «**المعجم الكبير**». الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن

مطير اللخمي الشامي. تحقيق :حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (د. ت).

١٥. «**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**». ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. ط١، السعودية: دار العاصمة، دار الغيث، ١٤١٩هـ.

١٦. «**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**». النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

١٧. «**الوابل الصيب من الكلم الطيب**». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. تحقيق: سيد إبراهيم، ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩م.

١٨. «**تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**». البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر. تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، (د. ط)، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

١٩. «**تفسير القرآن العظيم**». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (د. ط) (د. ن) (د. ت).

٢٠. «**تفسير الماوردي (النكت والعيون)**». الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د. ط)، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، (د. ت).

٢١. «تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)». أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٢٢. «تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)». محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني. (د. ط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٣. «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان». السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٤. «حاشية السندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)». السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين، (د. ط)، بيروت: دار الجيل، (د. ت).

٢٥. «روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)». ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي. جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط١، المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٦. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٧. «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي،

ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

٢٨. «**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**». الألباني، أبوعبد الرحمن محمد ناصر الدين. (د. ط)، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د. ت).

٢٩. «**سنن الترمذي**». الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. تحقيق: بشار عواد معروف، (د. ط)،بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م.

٣٠. «**شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)**». الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله. تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، مكة المكرمة / الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣١. «**شرح صحيح البخارى لابن بطال**». ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، السعودية - الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٢. «**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**». أبو حاتم البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٣. «**صحيح البخاري**». البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣٤. «صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب». الألباني، محمد ناصر الدين.، ط١، المملكة العربية السعودية - الرياض: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥. «صحيح الجامع الصغير وزياداته». الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. (د. ط)، المكتب الإسلامي، (د. ت).

٣٦. «صحيح مسلم». مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٣٧. «عمدة القاري شرح صحيح البخاري». العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

٣٨. «فتح الباري شرح صحيح البخاري». ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (د. ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٣٩. «فتح القدير». الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. ط١، دمشق - بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

٤٠. «في ظلال القرآن». سيد قطب، ابن إبراهيم حسين الشاربي، ط١٧، بيروت- القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢ هـ.

٤١. «فيض الباري على صحيح البخاري». محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي. تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، ط١، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤٢. «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف». ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، (د. ط)، دار ابن حزم للطبع والنشر، (د. ت).

٤٣. «مجموع الفتاوى». ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط)، المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٤٤. «مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ». ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله. أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (د. ط) (د. ن) (د. ت).

٤٥. «محاسن التأويل». القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٤٦. «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح». القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي. ط١، بيروت - لبنان : دار الفكر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤٧. «مسند الإمام أحمد بن حنبل». الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٤٨. «**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**». البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (د. ط)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، (د. ت).

٤٩. «**نيل الأوطار**». الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، مصر: دار الحديث، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الفهرس

الموضـــــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	٢٠٩
المقدمة	٢١٢
التمهيد التجهيزي (النية والمنهجية)	٢١٩
أين نحن من هؤلاء	٢٢٥
وصايا أرحم البشر بنا	٢٢٦
المبحث الأول «بين يدي السورة»	٢٣٤
■ الفرع الأول: حاجتنا إلى سورة النصر	٢٣٤
■ الفرع الثاني: اسم السورة	٢٣٥
■ الفرع الثالث: نزول السورة	٢٣٦
■ الفرع الرابع: موضوع السورة	٢٣٩
■ الفرع الخامس: مقصد السورة	٢٤٠
المبحث الثاني «حقوق سورة النصر علينا»	٢٤١
■ الفرع الأول: الحق الخامس (الفهم من خلال كتب التفسير)	٢٤٤
■ الفرع الثاني: الحق السادس (استخراج الوصايا العملية)	٢٦٢
■ الفرع الثالث: الحق السابع التدبر (التفكر في الحال والمآل)	٢٦٥
» بعض المخرجات الوجدانية لتدبر الوصية	٢٨٥
» الأسماء والصفات التي تجلت في الآيات	٢٨٧
■ الفرع الرابع: الحق الثامن (الاتباع)	٢٨٩
■ الفرع الخامس الحق التاسع (التعليم)، الحق العاشر (الدعوة):	٣٠٠
المبحث الثالث «أهل سورة النصر»	٣٠١

الموضـــــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة

- الختام التعزيزي «الاستمرارية» ٣٠٨
- الخاتمة ٣١٢
- المصادر والمراجع ٣١٤